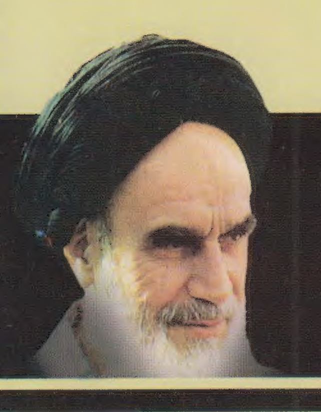
الجزء الأول



الوجيز

من سيرة الإمام الخميني العزيز



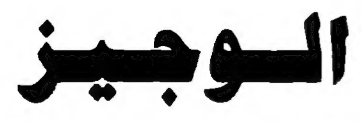
الشيخ توفيق علوية

- جانب من السيرة الذاتية للإمام «قدس سره».
- قصص وعبر من حياة الإمام «قدس سره».
- خواطر من حياة الإمام الخميني «قدس سره».

مؤسسة
الهدى الإسلامية



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



من سيرة الإمام الخميني العزيز



الوجيز

من سيرة الإمام الخميني العزيز

الشيخ توفيق علوية

الجزء الأول

مؤسسة
الهدى الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م

مؤسسة الهدى الإسلامية

للنشر والتوزيع الرسالي

بيروت ـ لبنان ـ بئر العبد

سنتر نحلة الطابق الأول فوق محلات **Orange**

مقابل حملة الصفا هاتف: ٠٣/٣٨٢٣٩٩ ـ ٠٣/٨٦١٢٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد رسول الله وعلى آله الأطهرين الأكرمين الأعلمين سيما بقية الله الأعظم مكّن الله له في الأرض خير تمكين.

إهداء

إلى الذي أعاد توأمة الدين والسياسة في ظل الظروف الخانقة والحساسة...

إلى الذي حوّل السلطة من مطلب إلى مهرب إلاّ أن تحق حقاً وتبطل باطلاً...

إلى الذي وضع مبلغ ثقته بالشعوب فانقادت إلى حقه ونبذت باطل غيره...

إلى الذي أودع روحه عالم الملكوت قبل أن ينتقل من عالم الملك إلى دار صدق عند مليك مقتدر...

إلى الذي عرفنا الإسلام، وعرفنا القرآن، وعرفنا الحياة، وعرفنا تكاليفنا...

إلى الذي هزأ بأكبر قوة مادية وقال لنا بصريح القول وجهور الصوت: إنها نمر من ورق...

إلى الذي جلّ ما كان يبتغيه ويصبو إليه في مزرعة الآخرة أداء التكليف وفعل الواجب...

إلى الذي ربط نهضته بنهضة الحسين عليه السلام في السابق وبدولة صاحب العصر والزمان في اللاحق...

إلى مفجر الثورة الإسلامية، وباني الجمهورية الإسلامية، وقاطع أيدي لصوص الشرق والغرب، وفيلسوف العصر، والفقيه العالم، والقائد الحكيم، والعابد الباكي في الليل، والمفكر المتألق، والعرفاني المحقق، الإمام روح الله الموسوي الخميني أعلى الله مقامه الشريف...

إليه وإلى آبائه وأجداده الأطهرين المعصومين أهدي هذا الوجيز راجياً من الله تبارك وتعالى القبول والحشر مع محمد وآله الطاهرين في أعلى عليين...

المؤلف

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين وبه نستعين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد رسول الله الأمين وعلى آله الكمل الأطهرين الأكرمين الأزهدين الأعلمين الأخيرين الأطيبين الأحكمين الأحلمين سيما بقية الله الأعظم مكن الله له في الأرض خير تمكين.

«الوجيز من سيرة الإمام الخميني العزيز» كتابنا الجديد الذي يمثل بالنسبة لنا إضافة إيجابية للمكتبة الإسلامية بل للمكتبة الأعم، وهذا الكتاب بالحقيقة قد فرضته عليّ مناسبة وفاة الإمام الخميني قدّس سره هذا العام والتي تزامنت مع مناسبة شهادة جدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

هذا وقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى الفصول الأربعة الآتية:

الفصل الأول: جانب من السيرة الذاتية للإمام الخميني قدّس سره.

الفصل الثاني: قصص وعبر من حياة الإمام الخميني قدّس سره.

الفصل الثالث: جانب من سيرة الإمام الخميني حفظه الله.

الفصل الرابع: ثلاثة موضوعات مرتبطة بالإمام الخميني قدّس سره وهي:

١ ـ كلام السيد أحمد الخميني رحمه الله عن والده الإمام قدّس سره.

كلام الإمام الخامنئي حفظه الله عن الإمام الخميني قدّس سره.

٣ ـ الإمام الخميني بين صراحة الانتماء والدعوة إلى الوحدة أي مغزى؟؟

ثم إننا ذكرنا عقب هذه الفصول الأربعة خاتمة ودعاء.

وأنا الأدون توفيق حسن آل علوية أسأل الله جلّ شأنه وتعالت قدرته أن يغفر لي كل ذنب أذنبته، وأن يتجاوز عن زلآتي، ويقيل عثراتي، وأن يجنبني مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقني الصبر والسلوان على كل أحداث ومجريات هذا الزمان، سيما ما يجري عندنا في لبنان؛ حيث يقبع الفقراء والمعوزين في بؤر الظلم والإهمال والحرمان.

أقول هذا الكلام وأنا في أشد حالات الشكوى إلى الله تبارك وتعالى من الساسة اللبنانيين الذين يخضمون مال الله خضمة

الإبل نبتة الربيع ولا من ممانع ولا من رادع فإلى الله المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء، والحمد لله رب العالمين على كل حال من الأحوال والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله الكمّل الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

مارون الرأس في ٢٣ ـ ٦ ـ ٢٠٠٨م **توفيق حسن آل علوية**

المتزامن مع ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام **غفر الله له ولوالديه**

مدخل

العظماء إنما هم عظماء بالنظر للخلفية الفكرية والأيديولوجية التي يستندون إليها، فبقدر ما تكون هذه الخلفية صحيحة بقدر ما تتكون عظمة الأشخاص الذين ينتسبون إليها، وبقدر ما تكون هذه الخلفية أصح بقدر ما تكون العظمة أكبر وأجلى.

وهذه الخلفية الفكرية كما أنها تصنع عظمة العظام فإنها تحتّم على المتصف بها أن يكون متواضعاً من جهة، وأن يقرّ بأن كل ما لديه وما عداه إنما هو ببركة أنتج هذه الشخصية من أي إلى نفس هذه الخلفية من جهة أخرى.

وأعتقد فيما أعتقد بأن العظمة محصورة بالله ﷻ ولا عظيم حقيقة سواه، وإذا ما أطلقنا لفظ العظيم على أحد فمن باب المجاز والاعتبار لا من باب الحقيقة.

وانطلاقاً من حصر العظمة بالله سبحانه وتعالى فإن الخلفية الفكرية والأيديولوجية الصانعة والمنتجة للعظماء لا يمكن أن تكون غير إلهية لأن كل عظمة لا تعطى من الله ﷻ فهي عظمة موهومة ومدعاة.

فالخلفية الفكرية والأيديولوجية الإلهية حتى تنتج العظماء لا بدّ أن تكون غير محرفة وإلاّ فتكون غير إلهية.

وأعتقد فيما أعتقد بأن الخلفية الفكرية والأيديولوجية الإلهية الصحيحة هي التي تتجسد بالإسلام وأي إسلام؟؟ إنه الإسلام الذي ينطق عنه محمد وآل محمد ﷺ، فأي قراءة للإسلام بخلاف ما نطق به هؤلاء النطقاء ﷺ هي قراءة غير صحيحة.

فالقراءة الصحيحة للاسم هي القراءة التي نطق بها أهل البيت والعصمة ﷺ، ومن هذا المنطلق رأينا بأن الإسلام الذي نطق عنه أهل البيت ﷺ قد أنتج رجالاً كباراً وعظماء ـ والعظمة لله سبحانه ـ هدى الله ﷻ بهم المسيرة البشرية العارمة، وهؤلاء العظماء كما لايخفى ممن تتفاوت فيهم درجة العظمة بحسب قابلياتهم واستعداداتهم، ولهذا فإن أكثر الناس عظمة ـ بفضل الله ﷻ ـ بوجه مطلق هم أهل البيت ﷺ ثم يليهم الأنبياء فالأوصياء حتى تصل النوبة إلى العلماء وأي علماء ومدرسة محمد وآل محمد ﷺ إذ إن العالم من خارج هذه المدرسة ليس عالماً بل هو مدع كذّاب أو واهم ومشتبه.

ومن العلماء الذين تخرّجوا من مدرسة أهل البيت ﷺ واتسموا بالعظمة آية الله العظمى المجدد الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني قدّس سره والذي كان نتاج هذه المدرسة النبوية المعصومة، والذي أقرّ بأن كل ما لديه إنما هو ببركة الله ﷻ وأهل البيت ﷺ والمعصومين جميعاً ﷺ.

نعم إن الإمام الخميني قدّس سره هو بكماله وبصفاته ومكتسباته، وإنجازاته هو نتاج مدرسة محمد وآل محمد عليهم السلام ولهذا استحق صفة العظمة التي لا تكون حقيقة إلا لله تبارك وتعالى؛ ومن هنا فإن العاقل المتدبّر لا يمكن له إذا أراد مراجعة حياة الكبار إلا الإمعان في سيرة الإمام السيد روح الله الخميني، أعلى الله مقامه الشريف وهذا ما نحن بصدده.

الفصل الأول

الوجيز
من سيرة الإمام الخميني العزيز

الوجيز
من سيرة الإمام الخميني العزيز

هو روح الله الموسوي الخميني ولد في ٢٤ أيلول عام ١٩٠٢ ميلادي، وذلك في مدينة خمين إحدى مدن المحافظة المركزية، والده آية الله السيد مصطفى الموسوي، ووالدته السيدة هاجر حفيدة المرحوم آية الله الخونساري.

استشهد والده وهو بعد لم يتم الخمسة أشهر وذلك على أيدي قطاع الطرق فيما كان متجهاً من خمين إلى آراك، وقطاع الطرق القتلة هؤلاء كانوا مدعومين من قبل السلطة آنذاك التي أوعزت إلى قطاع الطرق بقتل والد الإمام قدّس سره لأنه كان من المعارضين لظلمهم وفسادهم.

بعد استشهاد والده أمضى الإمام الخميني قدّس سره سائر أيام طفولته في أحضان والدته السيدة هاجر وبرعاية عمته السيدة صاحبة خانم.

وحينما بلغ الخامسة عشرة من عمره توفيت والدته وكذلك عمته.

درس الإمام الخميني منذ نعومة أظافره على أيدي العلماء جملة من العلوم على جملة من الأساتذة، فقد درس آداب اللغة العربية، والمنطق، والفقه والأصول على أيدي علماء منطقته من أمثال الكلبيگاني، والشيخ عباس الأراكي، وأكثر وقته الدراسي في تلك الفترة أمضاه على يد أخيه الأكبر آية الله السيد مرتضى بسنديده.

في العام ١٩١٩ ميلادي سافر الإمام الخميني قدّس سره إلى آراك ليواصل دراسته الدينية في حوزتها، وبُعيد انتقال آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي إلى مدينة قم، التحق الإمام الخميني بالحوزة العلمية في قم فطوى سريعاً مراحل دراسته التكميلية في الحوزة العلمية على يد أساتذتها بسبب نبوغه ودقته في فهم المطالب العلمية.

بعد وفاة آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي أثمرت الجهود التي بذلها الإمام الخميني قدّس سره برفقة عدد من المجتهدين في الحوزة العلمية في قم في إقناع آية الله العظمى البروجوردي للمجيء إلى قم وتسلم زعامة الحوزة العلمية بقم.

وفي تلك الفترة مارس الإمام الخميني قدّس سره مهمة التدريس خلال سنوات طوال في الحوزة العلمية بقم، وقد تخرّج على يديه جملة من الطلبة المتفوقين أمثال العلامة الأستاذ الشيخ مرتضى المطهري، والشهيد الدكتور بهشتي وغيرهما من الأعلام.

وبعد تلك الفترة من الدرس والتدريس، وسعياً لاستقلال إيران الإسلامية عن النفوذ الغربي، وإرجاعاً لهذا البلد الأصيل إلى رحاب الإسلام المحمدي الأصيل، وانتصاراً لقضايا المسلمين في سائر أنحاء تواجدهم، ودعماً لقضايا المظلومين والمستضعفين في العالم، ووقوفاً بوجه الظلم أينما كان وأينما حلّ أعلن الإمام الخميني قدّس سره الثورة الإسلامية ضد الشاه الإيراني المتعامل مع أميركا وإسرائيل وبريطانيا حيث كان الشاه محمد رضا ملك إيران في تمام التبعية والعمالة لهذه القوى.

وأبرز انطلاقة للإمام الخميني قدّس سره في وجه الشاه كانت انتفاضة الخامس عشر من خرداد (حزيران ١٩٦٣) والتي شارك فيها العلماء وأبناء الشعب معتمدين على قيادة الإمام الخميني قدّس سره القائد الإسلامي المحبوب والمطاع. وهكذا وبعد حادثة مدرسة الفيضية حيث قام أزلام الشاه بالهجوم على المدرسة الفيضية وقتل وجرح الكثير من الطلبة، كان أن قام الإمام الخميني قدّس سره وحمّل الملك مسؤولية الجرائم بصورة شخصية، وعلى شدة وتيرة خطابات الإمام الخميني الساخطة على الملك ومن يديره من الخارج اعتقل الإمام الخميني قدّس سره عدة مرات، فيما عزمت السلطة الشاهنشاهية على قتل الإمام قدّس سره ولكن التظاهرات الشعبية من جهة، وشهادة العلماء بأنه مجتهد ومرجع تقليد ـ فقد كان النظام يمنع إعدام مراجع التقليد ـ من جهة أخرى حالا دون إعدام الإمام الخميني قدّس سره على يد السلطة، ومن هنا فقد فرضت السلطة الشاهنشاهية على الإمام

قدّس سره الإقامة الجبرية إلى أن تم نفيه إلى النجف الأشرف حيث مكث الإمام قدّس سره هناك أكثر من عشر سنوات مدرساً وكاتباً وقد ألّف هناك كتاب «الحكومة الإسلامية» وهو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة البحث الخارج هناك.

وبعد مضايقة الإمام الخميني قدّس سره من قبل السلطة العراقية قرر الإمام الخميني قدّس سره السفر إلى فرنسا، وراح الإمام الخميني قدّس سره يقود الثورة الإسلامية من فرنسا عبر مجلس قيادة الثورة الذي شكّله من مجموعة علماء أخيار. وهكذا بقيت قيادة الثورة للإمام الإسلامية منطلقة من محل إقامة الإمام الخميني قدّس سره في فرنسا إلى حين عودة الإمام قدّس سره إلى إيران بعد أربعة عشر عاماً من فراق الوطن وذلك في مطلع شهر شباط عام ١٩٧٩م حيث شكّل أسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقاد الإمام الخميني قدّس سره الجمهورية الإسلامية في إيران على أحسن ما يكون وبالرغم من مرورها في حالات صعبة كتلك الحرب التي فرضت على الجمهورية الإسلامية من قبل الطاغية المجرم صدام حسين بإيعاز أميركي إسرائيلي وبمعونة سائر الدول العربية ما عدا سوريا.

وظلت الجمهورية الإسلامية في ظل قيادة الإمام الخميني قدّس سره تنعم بوجوده المبارك إلى أن وافته المنية عليه الرضوان وقدّس الله سره وذلك في حزيران عام ١٩٨٩ ميلادي والجمهورية الإسلامية في إيران ومنذ تأسيسها على يد الإمام الخميني قدّس

سره كانت خير نصير للمستضعفين والمظلومين في العالم، وبطبيعة الحال فإن نصرة المستضعفين والمظلومين تعني بالضرورة مقارعة المستكبرين والظالمين، ومن هنا بدأ العداء التلقائي بين الجمهورية الإسلامية في إيران وبين النظامين الأميركي والإسرائيلي والأنظمة العميلة معها والداعمة لها كأنظمة الدول الأوروبية السائرة في الفلك الأميركي، وأنظمة الدول العربية العميلة لأميركا وإسرائيل.

ومواقف الإمام الخميني قدّس سره كقائد أعلى للجمهورية الإسلامية ضد النظام الأميركي وإسرائيل واضحة تمام الوضوح، فهذا الإمام الخميني قدّس سره يقول بكل وضوح: «يجب أن تزول إسرائيل من الوجود» ويقول بكل وضوح أيضاً: «إسرائيل غدة سرطانية يجب استئصالها من الجذور»، ويقول: «كل مصائبنا هي من أميركا وإسرائيل» و«إذا قالت أميركا لا إله إلا الله فلا تصدقوها».

ويقول مخاطباً الشعوب الإسلامية: «لو أجمع المسلمون وأدلى كل واحد منهم بدلو من الماء لتشكل سيل أزال إسرائيل»[1].

وقال قدّس سره: «دافعوا حيثما كنتم عن إسلامكم ووطنكم وقاوموا عدوكم المتمثل في أميركا والصهيونية العالمية والقوى

---

(١) الخطاب الثوري والدولة الثورية، ص ١٥.

الكبرى الشرقية، والغربية، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»[1].

والسؤال: لماذا تدعم الجمهورية الإسلامية في إيران كل الذين يتعرضون للظلم والأذى من قبل أميركا وإسرائيل؟؟ هل تدعمهم من أجل مصلحتها؟؟!!

والجواب واضح: إنها تدعمهم من أجل الإسلام والمسلمين، والعدالة والإنسانية، إذ إنها لو كانت مع أميركا ولصارت من دون منازع سيدة العرب ومرجعيتهم تماماً كما كان الشاه شرطياً حاسماً وحازماً بين العرب!!!.

ولو كانت تريد مصلحتها دون مصالح المسلمين والمظلومين لعملت على تحييد نفسها من الصراع العربي الإسرائيلي وضمنت لنفسها عدم التهديد والوعيد الذي تتلقاه دائماً من القوى الكبرى!!!

على يد الإمام الخميني تريد إحياء أمر الإسلام وعزة المسلمين.

وثمة مفارقة عجيبة تحصل فيما يخص الجمهورية الإسلامية، وهذه المفارقة تعرف من خلال المقارنة بين هاتين الصورتين الصورة الأولى:

١ ـ إيران دولة شاهنشاهية تابعة لأميركا وإسرائيل وبريطانيا.

---

(١) م. الخطاب الثوري والدولة الثورية، ص١٥.

٢ ـ إيران دولة فارسية تعمل على فرسنة جيرانها.

٣ ـ إيران دولة معادية للعرب والإسلام.

٤ ـ إيران تعمل على قمع أي حركة تحرر في الشرق الأوسط.

٥ ـ إيران دولة تسخر كل طاقاتها وإمكانياتها من أجل أميركا وإسرائيل وبريطانيا.

الصورة الثانية:

١ ـ إيران دولة جمهورية وإسلامية مستقلة غير تابعة لأحد.

٢ ـ إيران دولة إسلامية ذات نظام جمهوري إسلامي يحتكم إلى القرآن والسنّة، وتعمل على تعليم شعوبها اللغة العربية لغة القرآن، وتعمل على نقل التحرر إلى البلدان المجاورة.

٣ ـ إيران دولة إسلامية مساندة لقضايا العرب والعروبة.

٤ ـ إيران دولة إسلامية معادية لأميركا وإسرائيل وبريطانيا، بل تشكل رأس حربة بوجه المشاريع الأميركية والإسرائيلية في المنطقة.

٥ ـ إيران دولة إسلامية تسخر كل طاقاتها وإمكانياتها في سبيل خدمة قضايا العرب والمسلمين، ومن أجل مساندة أي حركة تحرر ضد الظلم سيما بوجه أميركا وإسرائيل.

والفارق بين الصورتين واضح تمام الوضوح، فالصورة

الأولى هي صورة إيران الشاهنشاهية. والصورة الثانية هي صورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي قام بتأسيسها الإمام الخميني قدّس سره الشريف. نعم إن هذه الجمهورية الإسلامية هي ثمرة جهود هذا الإمام العظيم.

الفصل الثاني

قصص وعبر

من حياة الإمام الخميني «قده»

يفي بوعده رغم الشدائد

يقول الشيخ الفرقاني:

ما زلت أحتفظ بذاكرتي حادثة وقعت ليلة وفاة الحاج السيد مصطفى نجل الإمام، كان أحد الخطباء يلتقي الإمام عادة حين يخرج لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ويحدثه بما يريد خلال الطريق، وأحياناً كان يستشير الإمام في بعض الأمور.

ذات ليلة حدثني قائلاً: لدي موضوع لا أدري هل أحدث الإمام به أم لا؟ قلت: حدثه، فما الضير في ذلك؟

كان الخطيب يخشى أن يضايق الإمام، فقد كانت الحقوق الشرعية التي تصل الإمام آنذاك قليلة، ولعله لا يستطيع تقديم العون والمساعدة للمحتاجين. ثم قلت له: بمَ تريد أن تحدث الإمام؟ قال الأخ الشوشتري ـ من قراء القرآن وأحد الأفراد المعروفين بتدينهم والتزامهم وله ستة أولاد ـ يعاني من الشلل منذ عامين، ولم يفارق الفراش، وقد طلب مني أن أكلم الإمام لمساعدته، قلت: كلّم الإمام، فلما كلّمه قال له الإمام: حباً

وكرامة، قل للشيخ فرقاني[1] يذكرني غداً، فقلت له: افعل إن شاء الله، وعندما وصلنا إلى الحرم الشريف، لم يضع الإمام قدمه حتى التفت إليّ قائلاً: ذكّرني غداً الساعة التاسعة صباحاً بقضية هذا الرجل، بدوري كتبت هذا الأمر في دفتر الملاحظات كي لا أنساه، لأني عندما كنت أنسى أمراً أرى أنّ الإمام قد أنجز العمل بنفسه.

وكنت قد اعتدت أن أخرج من البيت، كل يوم، صباحاً في الساعة الثامنة، أما ذلك اليوم فقد خرجت مبكراً في حدود الساعة السابعة والنصف صباحاً، فرأيت زحاماً شديداً، وقد تجمهر الطلبة وسط ذلك الزحام، كان باب منزل الإمام مغلقاً وقد تجمّع الناس عنده، وهنا تقدّم منّي أحد الشيوخ وقال: سماحة الشيخ فرقاني، هل سيحمل نعش السيد مصطفى إلى كربلاء؟ فتسمّرت في مكاني وأدركت القضية، قلت: لعله يحمل إلى كربلاء، واندفعت لأصل

---

(١) وهو راوي هذه الحادثة، وهذا القول من الإمام قدّس سره أعني «جاوكرامة» وهو ما نحتاجه اليوم ممن يتصدون للأمور العامة، أقول هذه الكلمات وأنا ببالغ الحزن والأسى الشديدين على نبأ صدمني اليوم الأحد الواقع في ١ ـ ٦ ـ ٢٠٠٨ ميلادي الموافق لـ ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ حيث فجعنا بوفاة العالم الرباني آية الله السيد محمد رضا الشيرازي تغمده الله تعالى برحمته الواسعة حيث كان بحق موضحاً للعقائد الدينية المرتبطة بالإسلام المحمدي الأصل الذي ينطق عنه أهل البيت والمعصومين ﷺ وغير العقائد الدينية عبر قناة الأنوار الفضائية فجزاه الله خير الجزاء.

إلى باب منزل الإمام، فرأيت السيد أحمد حاسر الرأس يقوم ويقعد باكياً لاطماً رأسه، بينما كان يهدىء الآخرين مخافة أن يسمع الإمام، فعرفت أن الإمام لم يطّلع على هذه القضية حتى ذلك الحين، طبعاً كانت فكرة عدم إطلاع الإمام خوفاً من التذمّر والامتعاض تعود إلى السيد أحمد، لم يعرف أحمد كما لم يعرف الكثيرون عمق شخصية الإمام، فقد كان يقول: إن الإمام سيُصاب بالسكتة القلبية إذا سمع الخبر، وكأني بالسيد أحمد لم يسمع بأن «المؤمن كالجبل لا تحركه العواصف»، ثم فكّر بأن ينقل الخبر إليه، بأن يتجه إليه جماعة، فيسأل أحدهم الآخر: ماذا عن السيد مصطفى؟ فيرد الآخر: لقد اتصلوا بنا الآن، وأخبرونا أن حالته على ما يرام، بينما يرد الآخر: لا لقد أُخْبِرنا بأن حالته خطيرة ولا بدّ من إيصاله إلى بغداد، هذا ما توصّل إليه اثنان من كبار الأطباء حتى يوقن الإمام بسوء حالته وخطورتها، ثم ينبري آخر ليدعي بأن ليس هناك حتى بصيص من الأمل ولا بدّ من حمله إلى الخارج، وأخيراً، يُقال: إنّ طبيباً قدم من بغداد ليقول: إن حالته ميئوس منها وقد انتقل إلى رحمة الله، نعم هذه هي الخطة التي أعدّها السيد أحمد، وقد حدّد أبطالها وهم: الميرزا حبيب الله الآراكي والشيخ رضواني وكريمي والسيد عباس خاتم وعدد من الأفراد، فأخبر الإمام بأن جماعة يريدون لقاءه، فلمّا دخلنا على الإمام وجلسنا عنده قال أحدهم: هل هناك من خبر جديد عن السيد مصطفي في المستشفى؟ فأجابه الميرزا: نعم، لقد اتصل أحدهم الآن، وطلب نقله إلى بغداد، فلم يتمالك أحمد نفسه

واختنق بعبرته، ثم أجهش بالبكاء، وأشاح بوجهه كي لا يراه الإمام ﵁، وهنا التفت الإمام إلى السيد أحمد فقال له: ماذا دهاك؟ فهل مات السيد مصطفى؟ إن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، والكل إليه راجعون، تفضّلوا انصرفوا إلى أعمالكم أيها الأخوة، ثم قام الإمام وأسبغ وضوءه وأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم، فاتجهنا إلى (البرّاني) وفرشناه وجعل الأُخوة يأتون لتقديم العزاء، لقد حضر جميع العلماء العرب يبكون السيد ويقدّمون تعازيهم الحارّة للإمام، وهنا فكّرت في موعد الساعة التاسعة، كيف بي والإمام في هذه الحالة أن أذكّره بتلك القضية، كنت واقفاً عند الباب والإمام جالس يستقبل المعزين، وإذا بالإمام يرمقني بنظرة عميقة، فتساءلت مع نفسي: ما الذي يريده الإمام؟ هل عمامتي ليست على ما يرام أو أنّ ثيابي مفتوحة؛ لأني كنت أعرف الإمام وأنه كان غالباً ما يحدّثني بنظراته، فتقدّمت نحوه وقلت: أمرك سيدي، قال: ألم يكن من المقرر أن تذكّرني ـ عند الساعة التاسعة ـ بما أوصاك به الواعظ الخطيب، فالآن الساعة التاسعة وعشر دقائق، كنت أسعى للحفاظ على رباطة جأشي حرصاً على عدم إزعاج الإمام، إلاّ أن الانهيار سيطر عليّ فلطمت وجهي وانفجرت بالبكاء، فقلت: كيف أذكّرك وأنت في هذا الوضع؟ قال: لا عليك، تعال معي، فأخذني من دون أن يلتفت أحد فأخرج ظرفاً، ووضع فيه مقداراً من المال، ثم لعق حافة الظرف بلسانه الشريف وألصقه، ثم قال لي: خذ هذا الظرف الآن إلى الشيخ الشوشتري، واستفسر لي عن أحوالهم



متعجبة مذهولة، وهم يبكون ويضجّون حتى قال أحدهم: «الخميني أبداً ما يبكي»، صلّى الإمام، ولما فرغ من صلاته، قام أحد قرّاء مجالس العزاء، وشرع بالنياحة على مصاب الحسين عليه السلام، فكان الحاضرون يجهشون بالبكاء وترتفع أصواتهم بالعويل[١].

الإمام الخميني
البكّاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام

كان الإمام يخفي عن أعين الآخرين أسراره وحاجاته وتهجداته وعباداته الخاصة بشكل كامل أما في بعض الموارد التي لا يمكن إخفاؤها وكما رأيناه ورآه الناس أدهشنا حين وافاه نبأ وفاة ولده العزيز الذي كان يسير على نهجه ويمثل فاكهة قلبه ونور عينيه لم يبكه، واكتفى بالقول: « إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

كان في اعتقاد الأطباء أن الإمام سيتأثر ويذرف الدموع على ولده مما سيسبب له ارتفاعاً في الضغط يؤثر على قلبه لا سمح الله إلا أنهم فوجئوا بعكس ذلك. هذا الإمام العظيم لم تشاهده عين أثناء سماعه مجلس عزاء عن روح الإمام الحسين عليه السلام أو الزهراء عليها السلام أو الأئمة عليهم السلام إلاّ ورأت العبرات تنهمر من عينيه.

وفي أحد الأيام، وبمناسبة وفاة أحد الأئمة عليهم السلام ذهبت مع

---

(١) لمحات من حياة الإمام الخميني، ٥٣ ـ ٥٧.

بعض الإخوة إلى غرفة الإمام لقراءة دعاء التوسل. فجلسنا مستقبلين القبلة وبعد أن بدأنا بقراءة الدعاء دخل علينا الإمام وشاركنا مجلسنا وبدأ يتلو معنا الدعاء.

وفي الأثناء، أتى المقرىء على ذكر مصيبة أهل البيت عليهم السلام علماً بأنه ليس من القرّاء الماهرين ولا الذين يجيدون لغة العزاء، لكن في حضور الإمام، ارتسمت عليه علامات الاضطراب الشديد. وأخذ صوته بالتقطع والارتعاش، وما إن بدأ في قراءة المجلس ولم يكن قد دخل بعد في بيان الأمور المهمة حتى أجهش الإمام بالبكاء، وارتعشت فرائصه، في هذه الأثناء ألقيت نظرة إلى وجهه الشريف لأرى دموع الصدق والإخلاص تتلألأ على وجنتيه وتنحدر مسرعة على ركبتيه، لم تمض لحظات حتى أشار أحدهم من زاوية لا يراه منها الإمام إلى قارىء العزاء أن ينهي المجلس، لأن هذا البكاء المتواصل من الممكن أن يترك أثراً على قلبه المبارك. كان الإمام في النجف الأشرف. يعقد في منزله مجالس العزاء عن روح الأئمة المعصومين عليهم السلام أما في مناسبة وفاة الزهراء عليها السلام فتستمر مجالس العزاء لمدة ثلاث ليالٍ، وفي جميع هذه المجالس دون استثناء تنتابه حالة من الحزن والجزع يرافقها بكاءٌ شديداً يذرف فيها الدموع. إن حالة البكاء عند عامة الناس في مجالس العزاء عادة تدخل فيها عواملِ عديدة، تؤجج نيران العاطفة في النفوس مثل مهارة القارىء، الصوت الجميل والحزين، الخطيب البارع ومدى اشتداد البكاء عند الآخرين.

أما الإمام فقد رأيناه مرات عديدة وبالرغم من عدم وجود أي من العوامل التي ذكرتها، فبمجرد أن يبدأ القارىء، السلام عليك يا أبا عبد الله، حتى تنهمر الدموع من عيني الإمام ويشرع في البكاء وفي الواقع، لقد كان بكاء الإمام بعيداً عن الرياء يتخلله الصدق والإخلاص وأي قلب قاس لا ينفطر حزناً عند ذكر مصائب الأئمة عليهم السلام وأولياء الله وتنبعث من باطنه حالة معنوية متأججة تتجلى على مائدة العاشقين.

لم يبقَ من الساقي أي أثر لأن شارب الخمر ذاك لم يكن غير الساقي
كان هو في الواقع الخمرة والكأس رغم أنه كان في الظاهر نهماً يشرب الثمالة[1]

الإمام الخميني الزائر الأكبر

عكف الإمام الخميني في النجف الأشرف والتي بلغت أربعة عشر عاماً على زيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام في كل ليلة من ليالي السنة وكان ذلك بعد انقضاء ثلاث ساعات على غروب الشمس.

كان الإمام يقطع المسافة التي تفصل منزله عن الحرم خلال فترة زمنية لا تتجاوز السبع دقائق مشياً على الأقدام، اعتاد أثناءها على الدخول إلى حرم الأمير من الباب الذي يقع من جهة القبلة.

وبعد تجاوز المكان المخصص لوضع الأحذية في الزاوية

---

(١) في ظلال الشمس، ٢٨.

الجنوبية يبدأ بقراءة إذن الدخول ومن ثم يتشرف بالدخول ويقف في الجهة الشرقية للضريح ويبدأ بقراءة زيارة مختصرة ثم يتجه نحو الضلع الجنوبي مقابل المكان الذي توجد فيه صورة أمير المؤمنين فيقف ويقرأ زيارة أمين الله.

وخلافاً لما تعود عليه عامة الناس حيث يطوفون انطلاقاً من جهة الرأس الشريف حول الضريح كان الإمام يرجع من هذه النقطة ويعبر من الجهة الموازية للقدمين ويستقر في الجهة الأخرى للرأس الشريف.

ويصلي صلاة الزيارة ويقرأ الزيارة الجامعة وهو جالس.

من النكات المهمة التي تلاحظ في الإمام، أنه لم يُر قط يعبر في حرم أمير المؤمنين عليه السلام من الجهة الموازية للرأس الشريف فبمجرد وصوله، يتوقف مراعياً هذه المسألة باستمرار علماً أنه كان نموذجاً للإيمان الكامل ولقداسة مقام الولاية واحترامه للإمام عليه السلام، إلاّ أن أهل العرفان والكمالات المعنوية التفتوا إلى هذه الناحية اللطيفة، فبناءً على الاحتمالات والمنقولات وحسب ما تنقله الروايات بأن رأس الحسين المذبوح دفن في هذا المكان، وهذا الاحتمال كان عند أهل المعرفة والكمالات المعنوية كافياً حتى لا تطأ أرجلهم مكاناً يحتمل فيه دفن رأس سيد الشهداء الطاهر.

أثناء عودة الإمام من الحرم المطهر، كان يتوجه قاصداً مرقد المرحوم العلاّمة الحلي والمرحوم الشيخ محمد حسين

كمپاني، اللذان يجاوران المئذنة الشمالية ويرقدان في القسم الشمالي للمكان المعروف «بساحة الذهب» ويقرأ لهما الفاتحة ليعود إلى طرف الزاوية الجنوبية للبهو. وأريد الإشارة هنا إلى أن المرحوم ابن الإمام المتبجل آية الله السيد مصطفى الخميني كان مقرراً دفنه إلى جانب مرقد المرحوم كمپاني في أقرب نقطة لمرقد مولى الموحدين المطهر.

نعم لقد دأب الإمام الخميني خلال مدة إقامته في النجف الأشرف والتي ناهزت الأربعة عشر عاماً، على زيارة مقام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باستثناء المناسبات الخاصة التي كان يقصد فيها كربلاء مضافاً إليها بعض الحالات المرضية التي يتعرض لها، مما يضطره لتعطيل الدرس وصلاة الجماعة، ويصل معه الأمر إلى عدم تمكنه من زيارة مقام أمير المؤمنين عليه السلام وبحمد الله فإن هذه الأمور نادراً ما كانت تحصل باستثناء ليلة واحدة لم يذهب فيها للزيارة سأرويها فيما بعد[1].

الخُلُق السامي

يقول الشيخ عبد العلي القرهي:

ذات يوم شكوت شخصاً ـ كان معنا هناك ـ إلى الإمام (طبعاً لم يكن أحد يجرؤ على التحدّث عن الآخرين بما يسيء

---

(1) م ن، ٢٩ ـ ٣٠.

إلى سمعتهم، ولذلك لم يكن ﵀ يسمح حتى بطرح الأسماء، وإن كان على سبيل الشكوى)، فنقل لي الإمام حادثة، وهي أن أحد الأفراد دخل عليه وأفرغ كل ما في جعبته وتهجّم عليه، فما كان من الإمام إلاّ أن طيّب خاطره، ووهبه مبلغاً من المال، متأسّياً بما فعله الإمام الحسن ﵇ مع ذلك الشامي، أو بما كان يفعله أمير المؤمنين ﵇ مع أعدائه. ولم أعرف حينها من هو ذلك الصعلوك الذي هاجم الإمام وتجاسر عليه، إلاّ أن الغرض هو ذلك الخلق السامي الذي اعتمده الإمام في التعامل معه، حقّاً إنه خلق يفوق حدود الإنسان العادي، فقد جرت عادتنا أن نُقابل الإساءة بالإساءة[١].

(١) لمحات من حياة الإمام الخميني، ٥٠.

قضاء حوائج المؤمنين

يقول السيد رسولي محلاتي:

أُصيب والدي، عام ١٩٦٣م، بمرض عضال جعل طبيبه المعالج يشعر باليأس من تماثله للشفاء، أما نحن فقد كنا مضطرين للعمل بوصايا هذا الطبيب لعدم توافر الامكانات التي تتيح لنا البحث عن طبيب متخصص آخر أفضل، إلاّ أن أوضاع الوالد وسوء حالته الصحية كانت تقلقنا جميعاً.

بقي الوالد على هذه الحالة مدة أسبوعين، وذات ليلة، طُرق الباب، فإذا الطارق هو الإمام وبرفقته الدكتور المدرسي الذي كان آنذاك أشهر طبيب في قم ورئيساً لإحدى مستشفياتها، فما أن رآني حتى سألني عن حال والدي فشكرت الله، ثم دعوتهما للدخول، فلمّا دخلا الغرفة التي رقد فيها والدي، بقي الإمام واقفاً عند باب الغرفة، بينما شرع الطبيب بفحص والدي، كان الوالد في حالة تشبه الإغماء، بينما كنت إلى جانب المرحومة والدتي، ونحن نشعر بحزن شديد لما ألمّ بالوالد. استغرق فحص الطبيب أكثر من نصف ساعة والإمام واقف مكانه يتطلّع إلى أبي، ولما انتهى من الفحص سأله الإمام: كيف حاله؟ أجاب الطبيب: الحمد لله لقد زال الخطر

وصحته آخذة بالتحسّن، فلا داعي للقلق، وهنا شعرنا بالراحة ـ أنا ووالدتي ـ كما حمد الإمام الله وشعر بالفرح والسرور ثم انصرف مع الطبيب. وهنا ينبغي ألاّ أنسى أن الإمام لمّا بقي واقفاً طيلة مدة الفحص، فما كان منا إلاّ أن وقفنا احتراماً للإمام رضي الله عنه. وفي اليوم التالي، علمت أن الإمام كان قد اتجه إلى المدرسة الفيضية ليسأل عن والدي، فعلم بمرضه منذ خمسة عشر يوماً، وعلم أن ليس لديه من امكانات للمعالجة، فبدت عليه آثار الامتعاظ والتذمّر، وعاتب سائر الطلبة على عدم اطلاعه على هذا الأمر، فذهب في ذلك الليل إلى منزل الطبيب المدرسي وجاء به إلى والدي. طبعاً هذا هو الأسلوب العام الذي انتهجه الإمام تجاه جميع الأخوة الذين يعملون من أجل الإسلام[1].



الليلة التي امتنع فيها الإمام عن الذهاب إلى الحرم

كما أشرنا سابقاً، ففي الموارد الخاصة جداً كان الإمام بعد غروب الشمس بساعتين ونصف تماماً، يتأهب لملاقاة الناس في الديوان وبعد نصف ساعة ينهض كعادته من مكانه لزيارة الحرم الشريف.

لا أذكر أبداً أن الإمام تخلف عن زيارة أمير المؤمنين عليه السلام دون عذر شرعي فعندما يحين الموعد المخصص للذهاب إلى

---

(١) م.ن.

الحرم ينهض من مكانه وكما جرت العادة يعبر الغرفة التي يجلس فيها إلى باب الدار الخارجي للمنزل ويذهب إلى الحرم إلا أن الأمر هذه المرة جرى خلاف ذلك، إذ نهض الإمام من مكانه وتوجه داخل البيت بينما هُيىء نعلي للإمام في المكان الذي يخرج منه وعندما تحرك الإمام باتجاه الداخل أسرع أحد الحاضرين وحمل النعلين للحوق بالإمام.

بدت أمارات التعجب على الحاضرين جميعاً: وبدأ طرح التساؤلات لماذا لم يذهب الإمام للزيارة وهو يتمتع بصحة جيدة وحيوية ونشاط، علماً بأن المرض وحده كان يمنعه من الذهاب. ولم يُعلم السر في ذلك آنذاك حتى لأقرب المقربين للإمام، تعجبنا كثيراً مما جرى وعدنا أدراجنا إلى المدرسة ولم نذهب بدورنا إلى الحرم. وبقي اللغز قائماً.

في اليوم التالي قيل لنا إن سفير إيران في بغداد قد أقيمت له مراسم استقبال في داخل الحرم وحسب الظاهر يريد تقديم بعض السجاد من طرف الشاة هدية للمقام في نفس الوقت الذي يتواجد فيه الإمام عادة والهدف من ذلك التقاط الصور وتغطية الحدث في وسائل الإعلام.

عندها أدركنا وجود مؤامرة واكتشفنا السر الذي دفع بالإمام لعدم الذهاب في وقتها واتضح اللغز الذي لم ندركه حينها»[1].

---

(١) في ظلال الشمس، ٣٢.

إجلال وإكبار الثوار

يقول السيد علي أكبر محتشمي:

الموضوع الآخر الذي أود التحدّث عنه إنما يرتبط بحنان الإمام وحبه للعاملين في سبيل الله ومقاومة الطاغوت. المعروف عن الإمام رضي الله عنه أنه كان يحضر لمرة واحدة مجلس ترحيم (فاتحة) من يموت، بينما لم يكن كذلك حين استشهد آية الله سعيدي على أثر أساليب التعذيب الوحشية التي مارسها بحقّه جلاوزة الشاه، فلمّا وصل خبره النجف حدثت هزّة عنيفة بين أوساط الطلبة، أما الإمام فقد تأثّر تأثراً شديداً، وقد عزم الإخوة من جانبهم على عقد مجلس (الفاتحة) على روح الشهيد السعيد. طبعاً كانت نفقات المجلس وتكاليفه كثيرة جداً ولا سيما بالنسبة للطلبة الذين لم يكن مرتب أحدهم آنذاك يتجاوز الخمسة دنانير، فأقل ما يلزم لثلاثة أيام حوالي خمسين ديناراً، مع ذلك فقد عقد الإخوة العزم على إقامة مراسم التأبين وبما يحفظ شأن الشهيد السعيد ومنزلته. وناهيك عن ذلك، فقد واجهتنا مشكلة عملاء النظام في النجف، فحيثما اتجهنا إلى مسجد جوبهنا بمنع المتولي، حتى اضطررنا لإقامة مراسم (الفاتحة) في مسجد عمران ـ في الصحن العلوي الشريف ـ فأقام الإخوة من مدينة مشهد مجلساً لثلاثة أيام، ومثلها من قبل أهالي طهران وكذلك أصفهان وهكذا، فكانت أطول (فاتحة) شهدتها النجف؛ حيث استغرقت أربعين ليلة متصلة، أما الأمر المهم فهو: ما إن اختتمت المراسم حتى انبرى الإمام قائلاً: سأعطيكم جميع

نفقات (الفاتحة)، والأهم من ذلك، وكما أسلفت، هو أن الإمام إنما كان يحضر مجلس التأبين (الفاتحة) لمرة واحدة عادة، في حين حضر (فاتحة) الشهيد سعيدي كل ليلة من الليالي الأربعين، وهذا ما جعلنا نشعر بالفرح والسرور، فلم يحضر تلك المراسم أي مرجع أو عالم سوى الإمام رضي الله عنه. طبعاً حتى في ذلك المسجد، لم نكن نأمن بعض الأعمال السيئة التي مارسها بعض من تلبّس بلباس الدين، ممن كانوا ينسّقون مع السفارة الإيرانية هناك، فغالباً ما كان هؤلاء يطفئون المصابيح الكهربائية[١].



لزوم البيّنة
والطريقة المثلى لإعطاء الإجازات

يقول الشيخ محمد حسن رحيميان:

وفي المسائل التي تحتاج إلى بينة شرعية مثلاً بينة شهادة عادلين فكان يعمل وفق البينة التي تعتبر حجة شرعية ما لم يحرز سماحته خلاف ذلك، ففي مسألة إصدار إجازات الحقوق الشرعية الحسبية للأفراد، ما لم يحصّل على المعرفة اللازمة، ويطمئن لطالب الإجازة، كان يستحيل عليه أن يقدم على منحه الإجازة

---

(١) م.ن.

بدون أن يوثقه ويزكيه شخصين عادلين، وفي جماران تقدم أحد الإخوة الذين يتعاونون مع المكتب الشرعي بطلب الحصول على إجازة في الحقوق الشرعية والحسبية، وعندما طرحت المسألة على الإمام قال: الشخص المعني ثقة أحد الحاضرين في المجلس إلا أن سماحته لم يكتف بذلك بل نظر إليّ وقال:

يجب أن يعرفه ويوثقه شخص آخر، وعندما رآني ساكتاً لم يوافق على إصدار الإجازة. وأعود بالذاكرة إلى النجف الأشرف حيث كان المرحوم آية الله الشيخ نصر الله الخلخالي موضع ثقة المراجع وشهادة منه تغني عن شهادة عشرة من العدول عند المراجع، وكان يحظى كذلك بهذا الاحترام والتقدير عند الإمام، ومرة قصد سماحته طالباً منه بإصرار إصدار إجازة في الحقوق الشرعية والحسبية لأحد الأشخاص الذين يعرفهم، ويثق بهم تماماً ولكن الإمام أجابه بصراحة كاملة: شهادتك غير كافية، لا بدّ من توفر شهادة أخرى، أما في المسائل التي لم تكن بحاجة إلى بينة شرعية، التي تكفي فيها وجهة نظر السائل من أجل إصدار الإجازة والحكم، فكان سماحته يعمد إلى إلقاء المسؤولية الشرعية على عاتق الطرف المعني أي أنه كان يجيب على السؤال ويعطي الإجازة، على نحو لا يتحمل مسؤولية أمام الله فيما لو تبين خطأ أو خلاف الحال وغالباً ما أرفقت أجوبته رضوان الله عليه بعبارات من قبيل «إذا.. في حال..» الغرض المذكور.. بناءً على.. وسأذكر نماذج من ذلك: لم يجز الإمام صرف سهم الإمام المبارك لأجل بناء المسجد إلاّ بشرطين:

الشرط الأول: الحاجة إلى المسجد.

الشرط الثاني: إذا لم تتأمن ميزانية بناء المسجد عن طريق آخر كوجوه البر والتبرعات. لذا فإن التفت السائل إلى هذين الشرطين المذكورين وقيدهما في متن السؤال فيجيب الإمام: «في الفرض المذكور يجوز الدفع».

وإذا لم يلحظ السائل الشرطين المذكورين فكان الإمام يقيدهما في إجابته: «يجوز الدفع إذا كان المسجد مورد حاجة ولم يؤمن ذلك عبر طرق أخرى».

إن ما ذكر كان في مورد أصل بناء المسجد وأما في موارد الزينة واللوازم غير الضرورية التي تأتي في المرتبة الثانية من قبيل:

الرخام، السجاد، الكاشي، لم يجز الإمام مطلقاً بصرف الوجوه والحقوق الشرعية على ذلك، ويوجد نماذج كثيرة من جملتها: طلب أحدهم إجازة لصرف مبلغ ١٣٠ ألف تومان من سهم الإمام المبارك لأجل فرش مسجد في شارع «اباذرتهران» فتفضل الإمام: «لا أجيز».

لم يجز الإمام بتغطية نفقات وطباعة الكتب ونشرها من الحقوق الشرعية ولم يوافق أيضاً على بيعها بأسعار مخفضة أو مجانية وما لم يطمئن الإمام للآثار المفيدة المترتبة على كتاب ما فهو غير مستعد لدعم تغطية نفقات وطباعة الكتاب من خلال صرف الحقوق الشرعية كتب أحد فضلاء قم برسالة بناءً على أن

الإمام يجيز صرف سهم الإمام المبارك الذي يستحقه ورفاقه لأجل طباعة ونشر كراسات مجزّأة تتعلق بالعقيدة الإسلامية فأجاب الإمام:

«لا أجيز بالصرف لأجل طباعة كتاب بالتدريج».

وكان أحد الحاضرين قد أكّد ذلك إلاّ أن الإمام كرّر إجابته:

«لا أجيز».

أكّد أحد فضلاء باكستان برسالة بعثها إلى الإمام أن مجلة حراس الإسلام مهمة ومفيدة جداً لبلده، وطلب أن يجيز له صرف الحقوق الشرعية لأجل طباعتها ونشرها «باللغة الأردية». ونظراً لمعرفتنا بتعاطي الإمام في مثل هذه الأمور فإننا لم نطرح الموضوع عليه، ولكن جناب السيد رسولي، ولعلمه بلطف الإمام طرح موضوع المجلة التي كنت مسؤولاً عنها، وعرض عليه الرسالة، ولكن الإمام وبدون أدنى تأمل، ودون مراعاة للعلاقة الوطيدة القائمة، ووفقاً لطريقته المعهودة أجاب: «لا أستطيع أن أعطي إجازة في صرف الحقوق الشرعية لأجل ذلك»[1].

---

(١) في ظلال الشمس، ٣٨.

وبشّر الصابرين

يقول السيد حميد الروحاني:

كان سماحته انموذجاً في التعامل مع المصائب وتحمّل الشدائد، فالإمام كان يقف كالجبل أمام الحوادث الأليمة والمصائب الجليلة، ليلقّن الأمة دروساً في الصبر والحلم والصمود والمقاومة، ولا نرى من ضرورة لتكرار ما أوردناه مما أبداه من صبر وتحمّل شهادة ولده مصطفى، وما أعقبها من حوادث مريرة، ولم يكن السيد مصطفى فرداً عادياً بالنسبة للإمام، فقد كان عالماً، مجتهداً، عادلاً، مهذّباً ومطيعاً للإمام رضي الله عنه الذي بذل قصارى جهده من أجل إعداده وتربيته، رغم ذلك تعامل بكل صبر وحلم حين سمع خبر شهادته ليذكّر الأمة بصبر نبي الله أيوب عليه السلام.

ويروي الشيخ محمد حسن رحيميان القصة الآتية:

«هاجر الشيخ المنتظري خفية إلى العراق لزيارة الإمام في النجف الأشرف، فلما رآه سأله عن ولده المرحوم الشهيد حجة الإسلام والمسلمين محمد المنتظري، قائلاً له: سمعت أن سجن محمد قد جعلك تعيش حالة من القلق والاضطراب والتذمّر. ولا شك في أن مثل هذه الأمور من شأنها صقل شخصية الإنسان وإعداده لتحمل مسؤولياته في المستقبل، وعليه فلا داعي للقلق والانزعاج. حين كنت في تركيا وقدم بعض الإخوة إليها من

إيران، سألتهم: متى أُلقي القبض على مصطفى؟! فلما أجابوا، فهمت من حديثهم أنه معتقل، فلم أشعر بأدنى انزعاج، يفهم من عبارة الإمام أنه لم يكن يعلم باعتقال السيد مصطفى، إلاّ أن احتمال الاعتقال كان كبيراً، ويبدو أن الإخوة ربما حاولوا كتم القضية لو سألهم الإمام عن أصل الاعتقال، ولذلك سألهم على نحو القطع بالاعتقال. وكأن الشيء المبهم لديه هو الزمان فقط، ولهذا أجابوه عن التفاصيل فما كان من الشيخ المنتظري إلا أن أشاد بصمود الإمام وجلده في تحمل الشدائد والصعاب»[١].

يخدم المؤمن

يقول السيد علي أكبر محتشمي:

«أقام الإمام في باريس، في منزل أحد الطلبة الجامعيين في منطقة «كشان» ـ أحد أحياء باريس ـ ولم يكن ذلك الطالب قد سكن فيه بعد، وقد اشترط عليه الإمام دفع الإيجار، كان المنزل شقّة في الطبقة الرابعة، لم يبق الإمام في هذا المنزل أكثر من يوم واحد بسبب شعوره بامتعاض الجيران، ولذلك عزم على الذهاب إلى مكان خال ليس من شأنه مضايقة الآخرين، فاتجه إلى «نوفل لوشاتو»، وهي قرية تبعد خمسين كيلومتراً عن باريس، طبعاً أقترِح ذلك المكان على الإمام من قبل بعض الإخوة، وقد وافق الإمام

(١) لمحات من حياة الإمام، ٥٨.

لأن المكان كان خالياً بعيداً عن الزحام، يضم البيت ثلاث غرف وحمام ومطبخ ومرافق صحية وسرداب خُصّص لاستنساخ أشرطة التسجيل لبيانات الإمام. استقر الإمام في غرفة وترك الأخرى للإخوة المقيمين معه، بينما خصصت الثالثة لاستقبال الضيوف، كما كان الإمام أحياناً يستقبل الناس في فناء الدار، ذات ليلة كان الجو معتدلاً، فتركنا الأبواب والنوافذ مفتوحة، وفي الصباح رأينا الأبواب والنوافذ مقفلة، وقد طُرحت علينا الأغطية (البطانيات)، ولم يكن أحد منا استيقظ ليلاً، فجرى بيننا تساؤل عن ذلك، وسألنا السيد أحمد ـ نجل الإمام ـ فكان هو الآخر لا يعلم، أخيراً أدركنا أن الإمام عندما استيقظ لأداء صلاة الليل، ورأى الجو بارداً، عمد إلى إغلاقها»[1].

أريد مساعدتك في غسل الأواني

تقول السيد دباغ وهي إحدى العائلات في مكتب الإمام بباريس:

طُرفة أخرقية ما زلت أذكرها عن الإمام، والتي تتعلّق باحترام حقوق الآخرين ورعايتها هي أن منزله غصّ، ذات يوم، بالضيوف، فكانت الأواني كثيرة في المطبخ، فرأيت الإمام وقد دخل المطبخ، فاستغرقت الأمر؛ إذ لم يحن وقت الوضوء،

---

(١) م.ن.

فسألت الإخوة: ما الذي دفع بالإمام إلى دخول المطبخ، فردّ سماحته قائلاً: «لقد دخلت إلى المطبخ بسبب كثرة الأواني، أريد أن أساعدك في غسلها»[1].



ثواب تهيئة الشاي
ليس أقل من ثواب الزيارة والدعاء

يقول السيد حميد الروحاني:

«حدثني أحد العلماء أنه تشرّف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام مع الإمام وعدد من الأصدقاء، وأنهم استأجروا بيتاً في مدينة مشهد، وتقرّر، كما قال: أن نخلد ساعتين إلى النوم، فإذا أفقنا ذهبنا معاً لزيارة الإمام عليه السلام، وحين نعود نجلس لاحتساء الشاي في فناء البيت، فانطلقنا معاً، فإذا بالإمام قد اختصر الزيارة عائداً إلى البيت، ولمّا عدنا رأينا الإمام يصب لنا الشاي، وقد فرغ من كنس فناء الدار وفرشها، فسألت الإمام: أتختصر الزيارة من أجل عمل الشاي لتقدّمه إلى الأصدقاء؟ فأجابه الإمام: لا أعتقد أن ثواب تهيئة الشاي أقلّ من ثواب الزيارة والدعاء، ولعلّ الخطر يكمن هنا، فقد يستغل بعضهم هذه القضية فيقول: إن العبادة لا

---

(١) لمحات من حياة الإمام، ٦٠.

تعني شيئاً سوى خدمة الناس، وعليه فدعوا الزيارة والدعاء والعبادة وقوموا على خدمة الخلق، ولكن وكما أشرنا سابقاً فإن هذا الرجل نفسه ـ الذي لا يرى ثواب عمل الشاي وكنس الدار وتنظيفها وفرشها أقل من ثواب الزيارة والعبادة ـ لم يترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام طوال إقامته في النجف، ولم تطلع عليه الشمس لخمسين عاماً وهو نائم، وكم كان يهتم بالتهجد وإحياء الليل، ورغم كبر سنّه وارتفاع درجة حرارة النجف كان يصوم شهر رمضان ولا يفطر حتى يأتي بصلاتي المغرب والعشاء ونوافلهما وسائر المستحبات، مع ذلك تفوته فضيلة صلاة المغرب ليكلّم محافظ النجف علّه يثني السلطات البعثية الفاشية عن عزمها على إعدام بعض طلبة العلوم الدينية كالسيد القبانچي والشيخ عارف البصري[1].



يبقى تحت المطر مواساة للناس

يقول السيد علي أكبر محتشمي:

«بعد أسبوعين، أو ثلاثة، من إقامة الإمام في نوفل لوشاتو، ولضيق المكان، استأجرنا منزلاً آخر مقابل هذا المنزل، ليسكن

---

(١) م.ن.

الإمام فيه، ويبقى هذا المنزل للإخوة العاملين، فكان الإمام يأتي إلى المنزل القديم عندما يريد إقامة صلاة الجماعة أو اللقاء بالناس والتحدث معهم داخل المنزل إذا كان المكان كافياً، وأحياناً يخرج إلى ساحة المنزل إذا كان الجو مناسباً. وفي أحد الأيام، جاء لمقابلة الإمام عدد كبير من الناس من ألمانيا وبريطانيا، ولم يكن المنزل ليتَّسع لهم، فاضطروا للتجمع في ساحة المنزل، وكان المطر يهطل بغزارة، فخرج الإمام أيضاً، وأخذ يخطب بالناس من على سلم المنزل تحت المطر ـ وهو في الثمانين من عمره ـ وعندما طلب الإخوة منه الدخول إلى الغرفة والتحدث إلى الناس منها رفض ذلك وقال: كلا، المكان مناسب، وبقي هكذا تحت المطر لحوالي ربع ساعة»[1].

الإمام الخميني الملتزم بالقانون

إن الإيمان الخالص والعبادة الصادقة اللذان تميز بهما الإمام انعكسا بشكل قوي في جميع مجالات العمل. كان أكثر الناس وأشدهم رعاية والتزاماً لمقررات وقوانين الجمهورية الإسلامية العامة مع العلم أن مقام ولايته العامة هو الذي يعطيها الشرعية ويضفي عليها صفة القانون إلا أنه لم يميز أو يستثني نفسه عن عامة الناس أبداً لأنه الأشد التزاماً وتطبيقاً للأحكام والآداب الإلهية.

(١) في ظلال الشمس، ٤٠ ـ ٤١.

حتى أن ذكر بعض هذه الموارد يعتبر نموذجاً فريداً يحتذى به لسلوك المسؤولين في المجتمع الإسلامي فعلى سبيل المثال عندما كانت تصل الحقوق والوجوه الشرعية من مقلدي الإمام في الخارج بالعملة الصعبة ولا بدّ من تحويلها إلى التومان أحياناً كان الأمر يدور بين صرفها من البنك المركزي وبالسعر الرسمي المقرر من الدولة، وإما المبادرة إلى بيعها في السوق الحرة ومن ثم صرفها في الموارد الشرعية (مع ملاحظة التفاوت الكبير بين سعر الصرف الرسمي وسعر الصرف في السوق الذي يلحق ضرراً بالمستحقين للحقوق الشرعية).

من الطبيعي مثلاً أنه إذا كانت هناك ثمة مئة دولار مرسلة كصدقة أو زكاة فطرة يجب صرفها للفقراء فلا بد أن يعطى لهم إما عين المبلغ أو قيمته الفعلية وكان رأي سماحته في هذا المجال التالي:

«راجعوا السيد موسوي في هذا الأمر «رئيس الوزراء السابق» السيد مير حسين موسوي فإن أفادكم بأن لا مانع لدى الدولة من ذلك يصرف المبلغ في السوق الحرة».

ومن خلال إجابة الإمام في مثل هذه الموارد التي لا يسمح فيها بمخالفة قوانين الجمهورية، كان ملتزماً بتنفيذ وتطبيق الضوابط والمقررات التي تحددها الدولة أن تقيد الإمام المنطقي والتزامه بالقوانين لم تكن تنحصر بضوابط وقوانين نظام الجمهورية الإسلامية فقط، بل كانت لأجل رعاية المصالح العامة للمجتمع،

وحفظ بيت مال المسلمين، حتى أنه اعتمد هذه الطريقة في ظل نظام الشاه البهلوي الذي لم يحكم بما أنزل الله. ونموذج ذلك، أن المرحوم آية الله مصطفى الخميني كان ينقل هذه القصة:

أراد الإمام عبور أحد الشوارع المزروعة أطرافه بالحشيش ويبدو أنه في مدينة همدان. وحتى لا يضطر أن يدوس قدماً واحدة على الحشيش تحمل عناء قطع مسافة طويلة حتى وصل إلى تقاطع يسمح له بالعبور فعبر من هناك وكاتب هذه السطور الذي يعتبر نفسه أحد الذين تشرفوا بخدمة الإمام طيلة هذه السنوات التي قضيتها في مكتبه، أستطيع أن أقول وبكل جرأة أن الإمام «قده» حتى في محيط حياته الخاصة لم يتخط أبداً قوانين وقرارات الجمهورية الإسلامية ومن باب المثال، كان يبادر إلى دفع فواتير الكهرباء والمياه والتلفون والضرائب بمجرد وصولها وفي أول فرصة تتاح له كما أنه لم يسمح أبداً لكل المحسوبين على بيته ومكتبه بمخالفة مقررات وقوانين الجمهورية الإسلامية حتى في صغائر الأمور[١].

لا يدوس ثياب أحد

طيلة فترة إقامته في النجف الأشرف وفي المناسبات الخاصة لزيارة الأئمة عليهم السلام كان يتشرف عدة مرات في السنة لزيارة مقام

---

(١) م.ن.

الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. ويختار مسكنه في أحد البيوت المتواضعة والفقيرة التي كان يضعها أحد الكويتيين في تصرفه، أما خلال إقامته في كربلاء كان في أغلب الأحيان يقيم صلاة الجماعة بعد صلاة المغرب في حسينية آية الله بروجردي ويؤم صلاة الظهر جماعة في منزله المذكور في غرفة الاستقبال الخارجية مع عدد بسيط من المصلين، وعندما يكثر العدد يؤم الصلاة في باحة المنزل الخارجية التي لا تتجاوز مساحتها ٥٠م^2 ولم يكن الفرش كافياً، فكان المصلون يطوون عباءاتهم ويفترشون الأرض بها للصلاة عليها.

وعندما كان الإمام يخرج من داخل الغرفة إلى الباحة لتأدية الصلاة، كان مضطراً إلى العبور بين المصلين للوصول إلى مقدم الضيوف ، فانتبه الحاضرون إلى هذه المسألة فحرصوا بافتخار واعتزاز على فرش عباءاتهم العريضة الواسعة في طريق الإمام ليدوس عليها وهو يعبر الصفوف وذلك لنيل البركة، إلاّ أن الإمام التفت أيضاً إلى هذا الموضوع فحرص على السير بأسلوب معين وبخطوات منظمة بحيث لا يدوس ثياب أو عباءة أحد ليقدم بذلك درساً عملياً لكل المقلدين والمؤمنين في كيفية رعاية حقوق الناس(١).

---

(١) م.ن.

الإمام الخميني المستأجر الأمين

وفي هذا المقام أشير إلى قضية تتعلق بالإمام كمستأجر، لأبيّن من خلالها مدى اهتمام الإمام وشدة التزامه بالأحكام الشرعية ورعاية الموازين الدينية خصوصاً تجاه حقوق الناس وممتلكاتهم، ولقد مثّل نموذج المستأجر المثالي:

كان صاحب المنزل من مقلّدي الإمام ومحبيه إلى درجة لا توصف فاعتبر أن مجرد وجود سماحته في منزله هو أكبر وسام شرف يناله في حياته، إلاّ أن الإمام كان ملتزماً بالأحكام الشرعية الخاصة كأي فرد عادي لا تربطه أية علاقة مميزة بصاحب الملك. وذات مرة وبينما كان المطلوب تأمين الإنارة الكافية في الغرفة لأجل فريق المصورين المكلفين بتغطية بعض اللقاءات الرسمية أو تغطية بعض البيانات «كبيان عبد النوروز» الذي كان يوجهه سماحته إلى الأمة من غرفة عمله تم استحداث ثلاثة ثقوب صغيرة بمساحة ٥ × ٥ سم^{٢} في سقف الغرفة المذكورة نظراً للحاجة الماسة لانتشار الضوء والنور المطلوبين.

وفي اليوم التالي عندما تشرفت صباحاً كالمعتاد بزيارة الإمام بادرني بعد السلام بلهجة قاسية وحازمة والقلق والاضطراب بادٍ عليه: «ما هذا العمل؟ لماذا أقدمتم على مثل هذا التصرف».

أخبرت سماحته بأن تأمين النور الكافي هو الذي استوجب ذلك، وبعد لحظة من التأمل والصمت المرير تابع قائلاً:

لماذا بادرتم إلى هذا التصرف دون أخذ إذن مسبق من صاحب المنزل، وبهذا التعاطي الحازم فقدت الجرأة على الاستمرار بمتابعة الأمور العملية ولم يعد وارداً بحث الموضوع الأصلي الذي جئت لأجله وعملت على إصلاح السقف وبعد أن انصرفنا من غرفة سماحته أخبرني السيد صانعي وهو الذي قضى عشرات السنين في اتصال مباشر مع الإمام وعايشه عن قرب قال:

«طوال فترة معرفتي للإمام لم أشاهده على هذه الدرجة من الاضطراب وانزعاج الخاطر»[1].

لم أذق طعم النوم

تقول السيدة دباغ:

الخاطرة الأخرى هي أن عدد الضيوف قد كان كثيراً ذات ليلة، وقد عزموا على المبيت في بيت الإمام، عادة كنت أنام في مكان صغير خلف باب غرفة الإمام، ولما كان المكان ضيّقاً، اتجهت صوب المطبخ لأنام هناك، فلما عرف الإمام بهذا الأمر قال: «لم أذق طعم النوم ليلة أمس، لما عرفت أنكِ نمتِ في المطبخ وكنت أخشى عليكِ من البرد»، قطعاً هذا لا يتأتى إلاّ من تلك الرابطة الحميمة بالله ﷻ، بحيث يفكّر الإمام حتى في وقت استراحته ـ رغم قصر المدة المخصصة لنومه واستراحته والتي لم

(١) لمحات من حياة الإمام، ٦٢.

تتجاوز الأربع ساعات ـ بهموم الآخرين ويحرص على هدوئهم وراحتهم[1].

الجار الودود يقدم الهدايا والورود

يقول السيد علي أكبر محتشمي:

القضية المهة التي أودّ الإشارة إليها هي سلوك الإمام في نوفل لوشاتو؛ السلوك الذي استقطب جميع أهالي ذلك الحي؛ أهالي ذلك الحي الذي ربما لم يكونوا راضين بإقامة الإمام في نوفل لوشاتو، فاستقراره هناك، بوصفه زعيم الثورة، سيسبّب حالة من الإرباك للناس بفعل تردد أصحابه وأنصاره وسائر الأفراد عليه، ويبدو أن أحد سكان تلك المنطقة قد شكا من كثرة تردد السيارات، إلاّ أنهم شيئاً فشيئاً قد انشدّوا للإمام، كان من أعمال الإمام هناك، ليلة ميلاد السيد المسيح عليه السلام أن أصدر بياناً بارك فيه للعالم ذكرى ولادة المسيح عليه السلام، ثم أمر سماحته بتوزيع ما كان يصله من هدايا إلى أهالي منطقة نوفل لوشاتو ـ كانت تلك الهدايا عبارة عن علب من الحلويات وما شاكل ذلك ـ، فوزّعناها على الناس، وكنّا نقدّم لهم باقة من الزهور أيضاً، كان أغلبهم قد شعر بالذهول والدهشة، فلم تكن هناك من عواطف تحكم تلك الأوساط الغربية، وكانت حياتهم رتيبة جافة، حقاً إنه لشيء

---

(١) م.ن.

عجيب أن يقوم زعيم إيراني يتمسّك بالإسلام بتقديم التهاني والتبريكات إلى أفراد مسيحيين مع باقة من الزهور بمناسبة ولادة نبيّهم. ما زلت أذكر حين طرقت باب أحد البيوت، فتحت لي الباب إحدى السيدات فلمّا سلّمتها هدية الإمام ذهلت حتى جرت دموعها على خدّيها.

ذات يوم، جاء أحد أفراد تلك المنطقة، وطلب لقاء بعض ممثلي المنطقة بالإمام، فأذن الإمام، وفي اليوم التالي دخلوا على الإمام وهم يحملون له باقات من الزهور، فقال الإمام للمترجم: اسألهم عن أحوالهم، وهل لهم من حاجة، فردّوا قائلين: ليس لنا من حاجة، ولم نأت إلاّ لرؤية الإمام، وقد أتيناه بهذه الزهور هديةً، فتناول الإمام باقات الورد واحدة واحدة من أيديهم والابتسامة لا تفارق شفته(١).



الرسالة العملية لا تطبع إلا بنفقة خاصة

لقد اتبع الإمام أسلوباً خاصاً تميز عن الأساليب الرائجة لنشر الرسائل العملية التي تصدرها المراجع الفقهية، وقد اطلعت عن كثب على إحدى الحالات التي أصدر فيها أحدهم رسالة فقهية

(١) في ظلال الشمس، ٥٦.

عملية، بالإضافة إلى تهيئة حواشي على الرسائل الفقهية، كيف أشرف شخصياً على طبعها وترجمتها إلى عدد من اللغات الأجنبية قبل أن يصل إلى درجة المرجعية، وقبل أن تبدأ عائلته بتقليده أما سماحته فإنه لم يشرع بنشر رسالته العملية إلاّ بعد أن تركزت الزعامة الروحية، وهُيئت الأسباب للمرجعية الدينية بمشيئة الله لديه، رغم محاولته الابتعاد عن طريق الزعامة والشهرة، ونفوره منها، وبعد الإلحاح والإصرار الذي مارسه الكثيرون، أما بالنسبة إلى طبع الرسالة العملية فإن سماحته لم يقبل على اتباع السنّة المعمول بها والتي تقتضي طبع الرسائل على نفقة بيت المال والحقوق الشرعية، ليتم توزيعها على الناس مجاناً، وضمن نطاق واسع فلم يكن سماحته يسمح بأن يلجأ إلى الأموال الشرعية من أجل طباعة رسالته العملية كما أنه لم يعطِ الإذن بتوزيعها مجاناً على الناس، وتوجد الكثير من القصص المعبرة عن رأي الإمام القاطع تجاه هذه المسألة، وعلى سبيل المثال طالعتني الذكرى ذات مرة عندما قام والدي بزيارة لسماحة الإمام، وبعد المجاملات العادية، بات يشرح لسماحته مسألة كثرة المقلدين، وحاجتهم الماسّة إلى رسالة عملية يرجعون إليها، ثم حاول إقناع الإمام بضرورة طبع رسالته، وبعد أن استمع الإمام لكلامه بادره بلهجة تنم عن صراحة واضحة، خالية من المجاملات: أرى أنه من المناسب أن توجه كلامك هذا إلى أحد أصحاب دور النشر. وتأثر كثيراً عند سماعه هذا الجواب الصارم الذي لا ينسجم أبداً مع الأسلوب المتعارف عليه ضمن هذا النطاق، إلاّ أنه بعد أن غاص في أعماق

كلام الإمام، وأدرك منهجه في النظر إلى الأمور، وتعرف على المعايير الإلهية التي يعيشها، تغيرت انطباعاته وازداد إعجابه وإخلاصه لسماحته إلى حد فاق كل اعتبار»[1].

لا يجب أن تخفق النعال خلفه

لم يكن الإمام يرغب بأن يرافقه أحد من الطلبة إلاّ من هو ملازم له بشكل دائم، وعندما يشعر بوجود بعض الطلبة يمشون خلفه ليرافقوه، يتوقف قليلاً ويقول لهم «تفضلوا».

كلمة تفضلوا، كانت تحتوي على معنيين الأول إذا كان عندكم عمل ما فتفضلوا، وإذا لم يكن لديكم عمل فتفضلوا أيضاً.

كان الإمام يقوم بهذا الأمر في الحالات والأوقات التي يجدها الإنسان العادي الذي أصبح أسيراً لهوى النفس والرغبات والأهواء فرصة لالتفاف الناس حوله حين يسير في الشارع ويجذب انتباههم إليه، ولكن نهج الإمام، ومسلك هذا العبد الإلهي الذي حرر نفسه من القيود أضحى نموذجاً يُحتذى به، لذا يجب على الجميع أن يتذكروا دائماً وأن يدخلوا إلى قلوبهم الحذر الشديد حتى لا يتلوثوا بقيود التشريفات والمواكب في الذهاب والإياب لا سمح الله.

---

(١) م.ن.

وأما المسائل الأمنية فتراعى فقط بمقدار الاضطرار إليها.

كالاضطرار لأكل لحم الميتة لا أكثر[١].

لا تهينوا الحكمة

والمسألة الأخيرة والمهمة في هذا المجال هي أن سماحته كان يعتبر توزيع الكتب على الناس مجاناً أو بسعر زهيد جداً أو بقيمة رمزية بمثابة ضربة معنوية توجه للكتاب، وتنال من شأن مؤلفه لذا نشأ عنده الحرص على عدم اتباع هذا الأسلوب. ونموذج ذلك التالي:

أقدم أحد الأصدقاء المخلصين، الذين تربطهم بالإمام علاقة وطيدة وهو من قدامى النجف الأشرف على تحقيق وطباعة بعض مؤلفات آية الله الشهيد المرحوم الحاج مصطفى الخميني، أعقب ذلك برسالة وصلت لسماحة الإمام عن غير طريق مكتبه وبعد أن دخلنا إلى مجلس الإمام المبارك وتشرفنا بخدمته عرض موضوع الرسالة وأبدى تأثره الشديد واضطرابه وبادرنا بالكلام:

«هذا الرجل» ماذا كتب لي؟ إنه يهين السيد مصطفى وكتابه فليستغفر الله، يجب أن يستغفر الله لهذه الإهانة. وبما أننا لم نطّلع على مضمون الرسالة أخذتنا الهواجس وسرح بنا الخيال

---

(١) م.ن.

ترى على ماذا تنطوي هذه الرسالة حتى استدعت اضطراب الإمام، وبعد مرور عدة أيام حضر الشخص نفسه إلى المكتب فبادرناه بالحديث عما يريد الإمام منه، فكتب لي حينئذٍ مضمون الرسالة من جديد كما نصه:

جانب مقام الإمام المبارك، لله الحمد، لقد انتهيت من طبع كتاب الشهيد المرحوم آية الله الحاج مصطفى الخميني، نرى إذا كنتم موافقين نساعد بمبلغ من المال، ونحسم من كلفة طباعة الكتاب ليصبح رخيصاً ويعرض في السوق بسعر رمزي ونصف مجاني[1].

للعلم خطوة ولتهذيب النفس الضعف

يقول الإمام الخميني قدّس سره: إذا خطوتم خطوة في طريق تحصيل العلم والمعرفة، فينبغي أن تخطوا خطوتين في طريق تهذيب النفس وتربيتها، وعلى هذا المبدأ يشق الإمام طريقه، ولهذا فقد اخترق حجاب العلم والمعرفة واجتاز طريق العروج، وبلغ المقصود، ووصل من علم الأخلاق إلى ذات الأخلاق، ومن علم الحكمة إلى ذات الحكمة»[2].

---

(١)

(٢)

زهد الإمام الخميني

لم يكن الإمام الخميني كما عرف لدى الجميع فقيراً، ومعدماً إلى حد أنه لم يرث شيئاً عن والده، وكذلك بالنسبة لقدرته في توفير وتأمين الامكانيات التي تتيح حياة كريمة ومرفهة، والحقيقة أن الإمام كان قد وزع الأرض التي ورثها عن والده إلى الفقراء، والمساكين، كما أنه أهدى جميع الأملاك والبيوت المتعددة، التي قدمت له هدايا من المؤمنين والمحبين سواء قبل انتصار الثورة، أو بعدها، والتي لم تكن حقوقاً شرعية أو نذورات، إلى المستحقين من الفقراء، والمؤسسات الخيرية بعد قبـِله لها وتملكها.

ومنها المساحات الواسعة التي تعد بالهكتارات من البساتين التي كانت قد قدمت إلى الإمام بعنوان هدايا، حيث أمر سماحته بعد قبولها بتوزيعها على المزارعين الذين يعملون فيها وتمليكهم إياها، وأخيراً لم يبق للإمام شيء يملكه سوى ذاك البيت الصغير المتواضع الذي كان يسكن فيه أيام الدراسة في قم، والواقع في محلة «يخچال قاضي» تلك المحلة التي تعتبر في ذلك الزمان آخر نقطة سكنية في قم، وهذا المنزل أيضاً، أصبح مركزاً لمراجعة الناس والطلاب فيما يتعلق بالمسائل الشرعية والمصالح العامة، سواء في الفترة التي كان مبعداً فيها إلى النجف الأشرف، أو فترة ما بعد انتصار الثورة وإلى يومنا هذا. إن حب الأمة للإمام وتعلقهم به ناتج عن عظمة شخصيته، وتُرجم هذا الحب، عبر

تقديم المخلصين له الكثير من الهدايا الشخصية، بالإضافة إلى الأرض والبيوت، والأموال الطائلة والذهب والأشياء النفيسة، والكتب وأنواع مختلفة من القرائين المخطوطة واللوحات الفنية العظيمة، والأقمشة الغالية وغيرها من الأشياء التي كانت تقدم من طرف المشتاقين والمؤمنين بسمو وعظمة مقامه الشريف.

لقد بلغت قناعة الإمام أقصى درجاتها من الاقتصار على الضروري في المصاريف الحياتية والشخصية والعائلية اليومية، بشكل بلغ الحد الأدنى لحياة عامة الناس، ومع أن هذه الأموال وتلك الهدايا كانت تقدم له بعنوان شخصي محض فإنه لم يبقي أو يدخر منها شيئاً لنفسه إلى حد أن ما تركه الإمام بعد رحيله، لم يكف لتغطية نفقات يومين أو ثلاثة أيام لاستضافة بعض الضيوف على المستوى العادي سواء في المكتب أو البيت.

لقد وصلت للإمام هدايا كثيرة من قبيل، العباءة، قمصان، سجادة، سجدة، نعلين، جوارب، قلنسوة، كلها كانت تقدم لسماحته وفي بعض الأحيان يأخذ حاجته، وإذا توفر عنده من نفس النوع أكثر من عدد واحد يبادر قائلاً:

«ماذا أريد أن أفعل بكل هذه الأشياء».

وبخصوص الذي يزيد عن حاجته يقول:

«اعطوها للمحتاجين».

وفي بعض الموارد التي نتصور فيها أن الإمام يقبل الهدايا

لنفسه، كنا نعرف فيما بعد أن الأمر ليس كذلك حيث إن سماحته يريد أن يُشرف بنفسه على توزيع ما يقبله من أجل إعطائه للآخرين.

وبالجملة فإن أحد المؤمنين الكويتيين، أحضر صرّة من أقمشة القمصان الطويلة، وقدمها هدية للإمام، فقبلها الإمام ولم يقل شيئاً ولكن بعد عدة أيام وبينما كنت أهم بالاستئذان والخروج من مجلسه المبارك التفت وسط الغرفة وشعرت بأن الإمام يريد أن يقول شيئاً، وعدت اقتربت من سماحته فبادرني الإمام بالكلام قائلاً:

تلك الأشياء: وأشار إلى خلف الستارة للغرفة الخلفية هي لك خذها».

قلت: سمعاً وطاعة.

وذهبت إلى المكان المشار إليه فوجدت صرة أقمشة القمصان التي جلبها الكويتي فأخذتها وخرجت شاكراً له.

أما فيما يتعلق بهدايا «الأنتيكة» النفيسة كالقرآن المخطوط مثلاً فإنه كان يبادرنا قائلاً:

«قدموها إلى الجهات التي تستطيع المحافظة عليها».

وفيما يتعلق بشأن القرآن المخطوط ذو القيمة العالية. كان يتفضل قائلاً:

«فليرسل إلى مكتبة الإمام الرضا».

أما في بعض الأحيان حيث كان الإمام يتصرف فيها خلاف العادة فيقول: ضعها هنا.

كنا نعرض على سماحته الهدايا المشتملة على عدد من اللوحات الفنية الغالية التي تحتوي على بعض شمائل الرسول الأكرم ﷺ والتي سنعرض وضعها في مناسبة أخرى، أو الكتب التي تقدم لسماحته هدية من قبل بعض دور النشر، أو من قبل الكتاب أنفسهم، هذا ما عدا بعض الموارد التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد فيما يتعلق بالكتب العرفانية الحديثة الطبع، فتبقى عنده وكان يتفضل قائلاً:

«احملوها، واعطوها لأشخاص يستفيدون منها».

أرسلت مجموعة من الكتب التي تتهجم على الإمام والثورة وتنال منهما، ومليئة بالكذب والافتراءات والشتائم، أثرنا عدم تقديمها لسماحته حتى لا تسبب له إزعاجاً، وخوفاً من وقوعها في يده من غير طريق المكتب عمدنا إلى إيصال أسوأ كتاب، يتحدث عن الإمام والثورة كي يطلع عليه الإمام وقلنا إن هذه الشخصية العظيمة التي لم تتأثر ولو للحظة واحدة من أهل الفسق والعصيان وكيد الأعداء، هل تستطيع هذه الحفنة المعارضة والمخالفة أن تزلزل هذا الجبل الشامخ المملوء بالإيمان.

إن القسم الأكبر من الهدايا والنذورات التي كنا نستلمها بشكل يومي، مقدمة إلى الإمام من المؤمنين المحبين، عبارة عن بعض الأموال النقدية من الذهب والمجوهرات أما الهدايا التي

كانت تقدم من عوائل الشهداء من كافة مراتبهم، أو تقدم من إنسان فقير معدم بعد أن يتقبلها يعطينا إياها ويقول:

«ارجعوها لمقدمها».

أما فيما يتعلق بشأن الهدايا المرسلة من عوائل شهداء الجيش والتي يقدمونها للإمام من المبلغ الذي يدفعه الجيش للعائلة والبالغ ٢٠٠ ألف تومان. فبعد قبوله وقبضه المبلغ المقدم نقداً، أو شيكاً يعيده مباشرة إلى صاحبه دون الالتفات إلى مدى الحاجة وعدمها.

وبغض النظر عن الموارد المذكورة وأمثالها المتعلقة بالذين يقدمون الهدايا يعيدها الإمام إليهم كان بعض الأفراد الذين يحتاجون للمساعدة يرفضون في نفس الوقت أخذ الحقوق الشرعية وكانوا يطلبون من الإمام أن يساعدهم من ماله الشخصي لقضاء بعض حاجتهم. ومن جملة هؤلاء أحد وكلاء الإمام، كتب إلى الإمام بواسطتي ما يلي:

إن ولدي يدرس في إحدى الدول الإسلامية، وقد تراكم عليه الدين، وحتى الآن لم يحصل على العملة الصعبة من الدولة وهو بأمس الحاجة إلى المساعدة، ولكن عن غير طريق الحقوق الشرعية، فإذا أمكن أن تدفعوا من حسابكم الشخصي وتتفضلوا علي بالمبلغ المرقوم.

وبما أن المسألة تتعلق بالعملة الصعبة، وهدايا الإمام التي تأتيه بالعملة المذكورة قليلة عادة ـ كنت أجد صعوبة في نقل هذه

المسألة وطرحها على الإمام، لكن في النهاية عرضتها عليه وبعد عدّة أيام هيأ سماحته المبلغ وتفضل قائلاً:

«اعطوا هذا للسيد صاحب الرسالة»[1].

إيفاء ديون الآخرين

نموذج آخر.. كان الإمام قد اطلع على أن أحد الأشخاص الذين يعرفهم قد اشترى بيتاً واستدان مبلغاً من المال لم يعد قادراً على إيفائه وسداده، فأمر الإمام بإيفاء الدين وسداده، فتشرف الشخص المذكور بحضور الإمام وشكره وقدم اعتذاراً في نفس الوقت على جسارته بالتحدث إليه فقال:

إنني سعيت حتى الآن بأن لا أستفيد من الحقوق الشرعية في معيشتي، وعندي رغبة إذا تفضلتم عليّ لإكمال هذا الطريق على هذا النحو في تلك الأثناء لم يقل الإمام شيئاً. ولكن بعد عدة أيام تفضل الإمام بلطفه ودفع قسماً من المبلغ وبعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع دفع القسم المتبقي على ذلك الشخص من ماله الخاص.

الاطمئنان رغم الخطر وعدم الأمان

يقول الشيخ محمد أنصاري الكرماني:

نعم، لم يكن للثورة، وفي ظل تلك الظروف، سوى الإمام

---

(١) م.ن.

الذي لم يفارقه الاطمئنان طرفة عين؛ كيف لا وهو الذي يخاطب الشاه في ذروة اقتداره: «إياك أن تفعل ما تجعل الأمة تطردك من البلاد كما طردت أباك»، كان سماحته يرى بعين بصيرته انهيار الشاه وهروبه، فقد كان يحذّر باستمرار عناصر حكومته ووزرائه من مغبّة الابتعاد عن ركب الأمة وإعادة كلّ ما سلبوه من ممتلكات الشعب، فالإمام كان على بصيرة من أمره، ووضوح كامل الرؤية للأحداث لديه. لم يشعر الإمام بأدنى اضطراب حين نُقل من قم إلى طهران، وقد صرّح هو في هذا الشأن قائلاً: فجأة انحرفت السيارة عن الطريق المعبّد إلى الطريق الترابي في مسيرنا من قم إلى طهران، وأيقنت حينها أنهم يريدون قتلي، إلاّ أن السيارة عادت ثانية إلى الشارع، فلم أشعر بأدنى تغيير حتى بالنسبة لنبضات قلبي. نعم، كانت الأجهزة الشاهنشاهية تلقي بالإمام في السجن وتنفيه وتمارس معه مختلف الأساليب القمعية، إلاّ أنه كان مطمئناً من تحقيق النصر، لقد أُثكل الإمام بولده السيد مصطفى وإذا به يسترجع، ويصوّر الحادثة على أنها من ألطاف الله الخفية، بل طالعتنا بعض الحوادث التي جعلتنا نحيا في هالة من الاضطراب والحيرة، فنسارع إلى إطلاع الإمام، وكنا نعتقد بأنه سيسارع إلى فعل شيء ما، وإذا بنا نراه يتعامل مع الحدث بكل صبر وأناة وكأن شيئاً لم يحدث، وأبعد من ذلك كنا نتوقع على وجه اليقين أن الإمام سيتخذ موقفاً حيال بعض الأحداث لعظمتها وخطورتها، فإذا ما دخلنا عليه تحوّلت تلك الحادثة إلى قطرة في بحر اطمئنان الإمام، ولم نلتفت إلاّ أخيراً إلى أن هذا الاطمئنان

كان مفتاح حلّ تلك المشاكل والصعاب، بحيث لو اضطرب الإمام قيد أنملة لما كتب لهذه الثورة النجاح والدوام[1].



الخير في ما وقع

يقول الشيخ محمد علي أنصاري الكرماني:

ومن النماذج موقفه إبّان الهجوم الوحشي الواسع الشامل الذي شنّه النظام العفلقي ضد الجمهورية الإسلامية؛ حيث قصفت جميع مطارات البلاد، بينما زحفت القوات البرية تدعمها آلاف الدبابات والمدرّعات، فساد القلق والاضطراب جميع الأوساط، وكلحت وجوه المسؤولين، في حين سارع أمراء الجيش إلى جماران، التي كانت تتطلّع إليها أنظار الملايين، كما رابط المراسلون والصحفيون تصحبهم عدسات التصوير قرب مقر الإمام، وماذا عساه أن يفعل؟ فهل سيصرخ بأعلى صوته واسلاماه؟ هل يستسلم للواقع؟ هل سيستنجد بسائر الدول ويساوم أميركا وروسيا بعد أن يقدم اعتذاره إليهما؟ كلا، فالإمام هو الإمام، ووظيفته بادىء ذي بدء تكمن في تسكين روع الأمة ومنحها السكينة والهدوء والطمأنينة، ومن ثم إبعادها عن تعجل الأمور وضرورة التريّث والتأني وضبط الأعصاب وعدم الانفعال،

---

(١) لمحات من حياة الإمام، ٦٨.

فالإمام يعلم أن عواطف الأمة قد تأجّجت حتى بلغت ذروتها، فإذا ما تطلّب الأمر ستلبس القلوب على الدروع لتقاتل صدام، غير أن هذا الأمر قد لا يجدي نفعاً حيال القوات المعتدية التي دنّست التراب المقدّس للبلاد لتعيش سكر الغرور والنصر الكاذب وتشعر بقوة المعنويات، وهي المدجّجة بالسلاح من رأسها إلى أخمص قدمها، ولا يهمها أن تحرق الأخضر واليابس؛ الأمر الذي قد يعرض احتياطي البلاد للعدم. نعم، لقد أطلق الإمام عبارته المشهورة ـ وهذا ما عوّد الأمة والعالم عليه من إطلاقه عبارة مقتضبة حيال أكبر أزمة ليقبرها في مهدها ـ فقال: «الخير في ما وقع»، وكأنه يرى بأم عينيه هزائم صدام المنكرة وقادسيته المشؤومة في عبادان والبسيتين والكرخة والشوس وديزفول، كما لم ينس الإمام إماطة اللثام عن مصير صدام ليقول: ليس هنالك من سبيل أمام صدام سوى الانتحار، كما وصفه في عبارة أخرى بأنه مجنون يعكس خسّته وخسّة أسياده، ولم يكتف الإمام آنذاك بطمأنة الأمة فحسب، بل بشّرها بالصلاة في القدس، وإن هذا هو قرن خلاص المستضعفين، فيا تُرى إلى أيّ مدًى كان اطمئنان الإمام ورباطة جأشه[1].



(١) م.ن.

لا أرض بالقوة ضد أي فرد

يقول السيد خاتم اليزدي:

الأمر الآخر الذي يبدو لي عجيباً، والذي يكاد يقتصر على شخصية الإمام، هو أن الإنسان كلما اقترب من الإمام أكثر، وقف بصورة أعمق على عناصر تقواه وملكاته النفسية المعنوية، فالمعروف أن الإنسان إنما يعيش حالة من البرود كلّما اقترب من بعض الشخصيات وعاش معها، ولا عجب فهنالك بعض الفلتات التي تصدر من مثل هذه الشخصيات في حياتهم اليومية، ولذلك يضعف تعاطف الإنسان كلّما ازداد قرباً منها، ولديّ المزيد من الشواهد في هذا الخصوص. لم يكن يجرؤ أحد في مجالس الإمام العامة والخاصة على اغتياب الآخرين والنيل منهم، حقاً كانت روحه الربانية تحيط بمجالسه وتسيطر عليها، كان لا ينفك عن التأكيد قائلاً: لا أقبل أن تغتابوا أحداً في مكتبي، كان يقف بشدة تجاه من يحاول ذكر الآخرين بسوء. لقد حوصرت دار الإمام من قِبَل الأجهزة الأمنية البعثية، وكان من المفروض أن يستفسر بعضهم عن أحواله ولو عن طريق الهاتف، إلاّ أن ذلك لم يحصل رغم الخدمات المادية والمعنوية التي قدمها الإمام لطلاب النجف خلال خمس سنوات من إقامته المباركة، بل لم يتصل به حتى أولئك الأفراد المعروفين؛ الأمر الذي ترك آثاره السلبية على بعض الإخوة، بحيث كان يُخشى تعرّضهم لأولئك الأفراد، غير أن الإمام قال: «لعل بعض الإوة والأصدقاء يشعرون بالتذمّر

والاستياء، ولكن لا أرضى لهم بالتفوّه ضد أي فرد»، ولعلّ مثل هذه الروحية ـ بعد أئمة الهدى عليهم السلام ـ لم تتجسّد في أحد المراجع باستثناء الإمام، فقد كان سماحته داعية حتى في صمته وسكوته، وكان مصداقاً لقول الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»، ليس لأحد أن يلمس أدنى ثغرة في حياة الإمام[1].

الحلم والمساواة مع أنه ذاق الأمرّين

يقول السيد محمد سجادي الأصفهاني:

واكبت الإمام طوال استقراره في النجف الأشرف، يبدو لي أن فضائل الإمام لم تعد خافية على أحد، غير أن هناك بعض الحوادث والتفاصيل التي من شأنها تقديم العبر والدروس للأجيال اللاحقة، وإذا أردت أن أطنب في بيان شخصيته، فلا يسعني إلاّ أن أقول: إنه كان عبداً صالحاً لله، فالحق لم أر في شخصيته سوى العبودية والإخلاص والفناء في الله تعالى. كما كانت عباداته ومعادلاته خاضعة للنظم والقانون. من صفاته الأخلاقية البارزة «الحلم»، فقد كان يقابل الإساءة بالإحسان، فضلاً عن عدم الاكتراث للأذى والإساءة. وما زلت أذكر تلك اللحظة الأخيرة التي استعد فيها الإمام لمغادرة النجف، فقد قال: لقد ذقت الأمرّين هنا، لكن إياكم والانفعال وممارسة ردود الفعل تجاه

---

(١) م.ن.

الآخرين. أما الصفة الأخرى التي اتصف بها الإمام، والتي كانت طارئة على المتعارف والسائد بين علماء الحوزة العلمية، فقد تمثلت بالمساواة في العطاء بالنسبة لكافة طلبة العلوم الدينية بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية (كان أغلب الطلبة من إيران والعراق وأفغانستان والباكستان والهند)، فكل من كان طالباً للعلوم الدينية يستحق مقداراً من الدخل لسد رمقه ومواصلة درسه من دون أن يكون لهذا ـ الذي كان مهاجراً ـ من امتياز على ذلك المقيم في بلده؛ الأمر الذي اضطر سائر العلماء والمراجع لاعتماد هذا الأسلوب الذي جنبهم كثيراً من المشاكل[1].



يجمع الأضداد على غرار الأخيار الأمجاد

يقول السيد خاتم اليزدي:

حقاً لا أدري ماذا أقول في شأن الإمام! يُقال هناك بعض الأشياء التي تستتر لشدة ظهورها وعلانيتها، فقد انطوى سماحته على بعض الصفات والخصائص التي تجعل الإنسان يشعر بالحيرة ولا يدري في أية صفة يخوض، فقد جمع الأضداد على غرار جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، إلى جانب نبوغه وبراعته في مختلف

---

(١) م.ن، ٧٤.

الميادين، فإذا ذكرنا عبادته ومناجاته ودعاءه كان مثال ذلك العابد الزاهد الورع، وإذا أردنا أن نتحدث عن درجته العلمية، لا يسعنا إلاّ أن نقول: إنه فاق الآخرين. كان أرأف الناس بالمستضعفين وأشدّهم على الظالمين.

كان أباً رحيماً لليتامى والفقراء والمساكين، بينما كان جبلاً أشمّ إزاء الجبابرة الغاشمين لا يعرف المساومة والمهادنة، روى أغلب الإخوة أن أحداً لم يجرؤ على الغيبة بين يدي الإمام منذ عنفوان شبابه وتتلمذ في الحوزة العلمية، وإذا ما تفوّه أحدهم بكلمة جوبه بتعنيف الإمام، وقد ذكرنا في غير مناسبة أن الإمام لم يترك صلاة الليل أكثر من خمسين عاماً ولم يطلع عليه الفجر وهو نائم، كان لا يُفارق الجماعة في صلاته مقتدياً بالآخرين، كما كان شديد الاحتياط في الحقوق الشرعية، طبعاً اعتاد بعضهم على إظهار نوع من الخضوع لمن يأتيه بالحقوق، بينما كان الإمام على العكس من ذلك ليوحي للمقابل بأنك عملت بتكليفك الشرعي في أدائك للحقوق وقلدتني مسؤولية كبيرة في توزيعها، وعليه فالإمام هو صاحب المنّة لا العكس.

ويقول الدكتور محمود البروجوردي:

كان الإمام ـ دائماً ـ هو السبّاق إلى السلام على الآخرين، هذه الشخصية التي أرعبت القوى العالمية بوقوفها الشامخ بوجه الاستكبار وعملائه، كان من الرأفة والعطوفة حداً أن يسلّم حتى على الأطفال الذين يلعبون على قارعة الطريق، وهو حريص على

راحة الآخرين بحيث إنك لا تسمع صوته، بل ولا وقع أقدامه حين ينهض من فراشه لأداء صلاة الليل، وإذا توضّأ استقبل القبلة، فإذا ما أراد أن يغسل كلّ عضو من أعضاء الوضوء أغلق صنبور الماء خشية الإسراف، ليس لمختلف الأحداث والأزمات أن تفقد الإمام طمأنينته وسيطرته على نفسه، من دون الاستعجال في اتخاذ القرار وممارسة ردود الأفعال، لقد عزم الإمام على حضور مراسم فاتحة المرحوم آية الله السيد البروجردي بُعيد مرور عدة أيام على وفاته، فالتحقت به وتحرّكت خلفه برفقة الشيخ اللواساني والمرحوم الإشراقي وأحد الفُضلاء، وبرغم أن المسافة بيننا وبين الإمام لم تكن أكثر من خطوة واحدة، غير أنه التفت إلينا وقال: «إما أن تتقدموا أو تتريثوا حتى أمضي». خلاصة القول أراد أن يفهمنا بأنه لا يحب خفق النعال خلفه، ومعلوم لدى الجميع أنه اعتاد الذهاب والإياب بمفرده[١].



البيت بيتك ولا تجهد نفسك

يقول الحاج مصطفى كفاتش زادة:

اتجهت مع حجة الإسلام والمسلمين السيد خوئينيها إلى

---

(١) م.ن، ٧٥ ـ ٧٧.

باريس، فالتقينا حجة الإسلام السيد أحمد نجل الإمام، واتجهنا معه ـ برفقة والدته ـ إلى منطقة نوفل لوشاتو لزيارة الإمام.

ما زلت أذكر أن الإمام سألني عن قم والأنشطة والفعاليات التي تمارسها العناصر الثورية، فقدّمت له شرحاً مفصّلاً، فقال سماحته، بعد أن دعا بالخير والتوفيق لجميع أبناء الشعب الإيراني المسلم: «إني لأشعر بالخجل من الجماهير القمية، جزاهم الله خيراً، فنشاطهم الثوري وتضحياتهم ليست بخافية على أحد»، فلم أتمالك نفسي وأجهشت بالبكاء، ثم قبّلت يد الإمام واستأذنته في الانصراف، فقال: تريد أن تستقر هنا؟ قلت: إذا أذنت، فقال سماحته: البيت بيتك؛ الأمر الذي أجّج عشقي وذوباني بالإمام لما لمست فيه من العطف والحنان، كانت مهمتي تكمن في إدارة الشؤون المطبخية، وأذكر أني صعدت السلّم ذات يوم من أجل إصلاح بعض المصابيح، فسمعت وقع أقدام هادئة، ولما التفت رأيت الإمام ينظر إليّ ويقول: حاج مصطفى إنك تجهد نفسك كثيراً، فشعرت بحالة جعلتني لا أعرف ماذا أقول وماذا أفعل.

أتذكّر أن ممر الدار قد ملئئت بالطين على أثر ليلة ماطرة حين كان الإخوة يدخلون بأحذيتهم، ويتركونها في الممر وهي مبللة متطيّنة، فنظّفت المكان، وهيَّأت مستودعاً للأحذية، فلما جاء الإمام وكان يريد الدخول، قلت له: إن الممر رطب ومبلل، فهل يمكنك أن تخلع نعلك في الداخل وتضعه داخل المستودع؟ فابتسم الإمام وقال: «إني أفعل كل ما يجب أن يفعله الآخرون

من قبيل هذه الأمور»، فخلع نعله في مكانه وجعله في المستودع ومرّ بقدمه الشريف من الممر ودخل.

وما زلت أذكر أن المطر قد اشتد ذات ليلة حين خرج الإمام، فجعلت أمشي خلفه وأضع المظلّة فوق رأسه، فالتفت إليّ وقال بكلّ حنان وعذوبة: دع عني هذه المظلّة، قلت: إن المطر ينزل بشدّة، فقال: أرى ذلك ولكن لا حاجة لي بالمظلة، فما وصل فناء الدار إلاّ وقد بتلّت عباءته وعمامته[1].

الزائر الخفيف الظل

يقول الشيخ محمد رضا الناصري:

أما عن خلقه وعبادته وصموده وكماله.. فالصور في ذلك كثيرة.. كثيرة.. وإليك منها هذا القطاف، هذه الصورة في خلقه يرويها أحد المقربين من الإمام، فيقول: «عندما يذهب الإمام إلى مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للزيارة، لا يوافق أبداً على أن ندفع الناس عنه جانباً لنفتح الطريق أمامه».

وتخطر ببالي حادثة في هذا الخصوص: كان الإمام ذاهباً في إحدى الليالي إلى المرقد الشريف، وصادف أن كانت تلك الليلة ليلة عيد، وكان المرقد مكتظاً بالناس، ولتجنب الهجوم على

(١) م.ن، ٧٨ ـ ٧٩.

الإمام مددت يدي لأدفع أحد الأفراد، وفي الحال مدّ الإمام يده وسحب يدي إلى الخلف. إن الإمام يتألم عندما نطلب من أحد الأشخاص في الأوقات المزدحمة، أن يقوم من مكانه ليجلس الإمام محله.

ولعلمنا بأن أغلب زيارات الإمام لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام، تكون في وقت يكتظّ خلاله المرقد بالناس، فقد قررنا أن نرسل أحد الإخوة قبل نصف ساعة من مجيء الإمام ليحجز له مكاناً، وينشغل هذا الأخ خلال هذه المدة بالدعاء والعبادة حتى قدوم الإمام فيعطي مكانه للإمام، ولأنه من الإخوة المعروفين لدى الإمام فإنه لا يمتنع من ذلك.

أما برنامجه عندما يكون عند الضريح المطهّر فهو كما يأتي: يقرأ الزيارة أولاً، ثم يصلي، ثم يقرأ «زيارة الجامعة»، وفي أكثر الليالي يصلي مرتين ثم يخرج بعد أن يدعو الله(١).



يهرب من الزعامة

يقول الشيخ محمد مهدي رباني أملشي:

يسرّني أن أنقل حادثة في شأن بُعد الإمام عن هوى النفس،

---

(١) م.ن، ٧٩ ـ ٨٠.

فقد كانت الأمة تتطلّع إلى المرجع الذي سيخلف آية الله السيد البروجردي حين انتقل إلى رحمة الله، وبالطبع فقد كان تلامذة الإمام ـ وأنا من بينهم ـ يسعون لطرح مرجعية الإمام في ضوء الشرائط التي كان يتصف بها سماحته من علم وورع وزهد وتقوى، ولذلك فكّرنا بالقيام بحركة، في أثناء تشييع جنازة المرحوم السيد البروجردي، نفهّم الآخرين من خلالها أن الإمام هو مرجع التقليد من بعد السيد البروجردي، فقد كان أغلب تلامذة الإمام يريدون إرصاده في التشييع، حتى إذا ما رأوه استقبلوه بالصلوات؛ ليعربوا له عن التفافهم حول مرجعيته من جهة، ويفهموا الآخرين أنه هو المرجع من جهة أخرى، إلاّ أننا كلّما أدرنا عيوننا لم نعثر على الإمام، ثم اكتشفنا بالتالي أن الإمام لم يحضر مراسم التشييع، ولم تمض بضعة أيام حتى شكا أحد أساتذة الحوزة العلمية بعض تلامذة الإمام الذين أساؤوا له على أثر إجلالهم لسماحته، فرفع أحد الإخوة هذه الشكوى للإمام، فقال سماحته: لا أرضى أن تتجاوز عواطف الإخوة الذين يكنّون لي الحب والاحترام قلوبهم، فليخفوا ذلك الحب ولا يظهروه، ولا يحق لأي أحد أن يتقدّم شبراً من أجل زعامتي، ثم أضاف سماحته: إن توعك حالتي الصحية لم تكن هي السبب في عدم حضوري تلك المراسم، إلاّ أن التبعات التي يمكن أن تترتب على حضوري مراسم التشييع هي التي حالت دون ذلك.

جدير بالذكر أن الإمام كان يكنّ فائق الاحترام والتقدير للمرحوم آية الله السيد البروجردي، ولم أعهده كتب آية الله العظمى سوى

لذلك السيد الجليل، ثم أثنى عليه بُعيد أيام من رحيله، وأشاد بخدماته التي أسداها إلى الإسلام والمسلمين واصفاً إياه بالجدار المنيع الذي انهار وتصدّع، ورغم كل ذلك الحب والتقدير إلاّ أنه يرى بعض التبعات التي يفرزها حضوره في مراسم التشييع فيفضّل الجلوس في البيت. طبعاً لم تكن الرسالة العملية للإمام قد طبعت حين توفي السيد البروجردي، فما كان منّا ـ وقد بلغ عددنا ما يقارب المئة ـ إلاّ أن أصررنا على سماحته بوجوب القيام بوظيفته الشرعية في طبع الرسالة العلمية، حيث قلنا له: إننا من مقلّديك ونحتاج إلى الرسالة العملية في التقليد، آنذاك أذن بطبعها، وبالطبع قام تلامذة الإمام بادىء الأمر بطبع تلك الرسالة تحت عنوان، «نجاة العباد». وقد نُظّمت هذه الرسالة من قبل مجموعة من الطلاب، ودونتُ أنا قسماً منها. على كل حال، كانت هذه الخصال وعلى رأسها الورع والتقوى هي التي جعلتنا نلتف حول الإمام، ونكنّ له مزيداً من الحب والاحترام، حقاً كنت أرى وجه الإمام يحمل المستقبل الزاهر للأمة، وقد اتضحت، في ما بعد، حقيقة رؤيتي التي ذكّرني بها سماحة السيد القائد الخامئني بعد أن نسيتها، وما زلت أقول: إن الله قد حفظ ثورته الإسلامية المباركة بلطفه وعنايته[1].



(١) م.ن، ٨٤.

لقد قدم ليقارن بيننا

يقول الدكتور محمود البروجوردي:

ما زلت أذكر حادثة تكشف عن مدى ذكاء الإمام وتكهّنه بالأمور، فقد كان بعض الإخوة يزورون الإمام حين وُضِع تحت الإقامة الجبرية في منطقة القيطرية في طهران. وذات يوم، قصده حجة الإسلام والمسلمين الشيخ اللواساني الذي كان يشبه الإمام في الشكل إلى بعض الحدود، فلمّا دخل عليه، سارع رئيس الحرس ـ الذين كانوا يحاصرون دار الإمام ـ إلى الدخول على الإمام، فجعل يقبّل يده، ويطيل النظر إليه وإلى الشيخ اللواساني، ثم انصرف بعد عدة دقائق، فقال الإمام: «لقد قدم هذا الشخص ليقارن بيننا»، وبعد مدة تبيّن صواب حدس الإمام، فقد أُصيب أولئك الأفراد بالذهول لما رأوا اللواساني، إذ ظنّوا بأنه الإمام وقد خرج من الدار وعاد لتوّه! ولذلك دخل ذلك الشخص على الإمام ليقف على حقيقة الأمر[١].



(١) م.ن.

قضيتان مهمتان

يقول الشيخ غلام حسين الجمي إمام جمعة مدينة عبادان:

لقد تعرّفت إلى الإمام عن طريق المكاتبة بعد رحيل آية الله السيد الحكيم، فقد كنت أبعث له بالرسائل حين كان في النجف الأشرف، كما كنت أطرح عليه بعض الأسئلة الشرعية، وكان يبعث إليّ بالجواب. وبالطبع فقد تشرّفت بلقائه ذات مرة بعد أنْ أُطلق سراحه من السجن عام ١٩٦٢م، وتمكنت من تقبيل يده المباركة رغم كثرة الناس الذين تدفّقوا على داره آنذاك، أما بعد انتصار الثورة فقد تمكّنت عدة مرات من زيارة الإمام، وكل زيارة كانت تحمل بعض الذكريات.

ذات مرة التقى أحد مسؤولي البلاد الإمام في جماران لبعض شؤون الدولة، وقد صحبه والده، فلما عاد قال: حين دخلنا على الإمام تقدّمت على أبي وقدمته إلى الإمام، فنظر إليّ الإمام وقال: هذا أبوك؟ كيف تقدّمت عليه ودخلت قبله؟ نعم، كان الإمام دقيقاً إلى هذه الدرجة، هذا الرجل الذي كان يتابع مؤامرات الشرق والغرب وساسة الاستكبار العالمي، لا يغفل، وفي ظل تلك الظروف العصيبة، عن هذه المسألة الأخلاقية ويذكّر بها أحد مسؤولي الحكومة الذي جاءه بتقرير عن سير الأعمال في الوزارة، أما الذكرى العالقة في ذهني حتى الآن، فهي: المعلوم أن وسائل الإعلام ـ المذياع والتلفاز ـ عادة ما تشير إلى جانب من صلاة الجمعة في منطقة عبادان، وقد تخلّفت ما يقارب الشهر

عن صلاة الجمعة بسبب سوء حالتي الصحية، بعد مدة اتجهت مع سائر أئمة الجمعة في محافظة خوزستان للاجتماع بالإمام، فلما انتهت الجلسة وودّعنا الإمام، خاطبني قائلاً: «أين أنت؟ لك مدّة لا تذهب إلى صلاة الجمعة». الحمد لله على هذا الزعيم الذي يتابع الصغيرة والكبيرة إلى جانب أخبار العالم.

لا يسعني إلاّ أن أقول: إن هذا الرجل من أولياء الله، وقد حظي بعناية الرحمن وتأييده، وما ذلك إلاّ لعبوديته وإخلاصه، إنه هبة الله لكافة المسلمين وبالذات للشعب الإيراني المسلم الذي وقف خلفه وواكبه في حركته حتى جاء الحق وزهق الباطل[١].



عون للمحتاجين

كان موقف الإمام من التسوّل حازماً وصارماً، ومن باب تقديم نموذج، كان بعض الأشخاص في النجف الأشرف يحترف مهنة التسول تحت عنوان خادم الحرم المطهر، ولطالما كان يتردد من منزل مرجع إلى منزل مرجع آخر طالباً منهم المال بأسلوب ينم عن قلة الأدب، وأحياناً يترافق مع جو غير عادي يرافق الصراخ والعراك.

---

(١) م.ن، ٨٥ ـ ٨٦.

لقد استطاع الإمام وحده أن يقف بوجه هؤلاء دون أن يستسلم لعملهم في الوقت الذي سعى جاهداً من أجل الفقراء والمساكين والمستضعفين والمحتاجين، وبغض النظر عن ثورته وقيامه في سبيل الله لأجل إنقاذ هؤلاء من براثن الظالمين والقوى الشيطانية، علاوة على اهتمامه التام وأوامره اللازمة للمسؤولين لأجل إنصاف هؤلاء وإحقاق حقوقهم، كان الإمام يهتم بأوضاعهم شخصياً ضمن أولويات جدول عمله اليومي وبشكل دائم يسمح ويجيز دفع الحقوق الشرعية من السهمين الشريفين للمستحقين من الفقراء، وإعطاء المحتاجين المستحقين حتى في بعض الموارد الخاصة التي يذكر فيها مشخصات الموضوع والحاجة المطلوبة لذلك فيما يتعلق بقرض أو مرض أو طلاق أو سكن إلى حد حل المشكلة نهائياً ورفع الحاجة عنه، وفي بعض الحالات يكتب أحد الأشخاص رسالة، مثلاً: لي على فلان الفلاني مبلغاً من المال وبما أنه لا يستطيع سداد هذا المبلغ لي فهل تجيزون لي اعتباره من الحقوق الشرعية الواجبة وكان الإمام يتفضل بالإجابة على ذلك: إذا كان الشخص المديون لا يستطيع إيفاء دينه لا يحق للدائن مطالبته فكيف يمكنه احتسابه على نفسه وإسقاط الحق الشرعي، أما إذا كان المستدين يستطيع أن يدفع دينه، ولكنه فقير، والأمر صعب بالنسبة له، لذا في مثل هذا الفرض يستطيع احتساب المبلغ من الحقوق الشرعية، وكان الإمام على اطلاع شخصي مباشر ببعض حالات المحتاجين ويأمر ببحث أوضاع أولئك الذين يسكنون في أماكن بعيدة ويعتبرون من

المنسيين والعمل على حل مشاكلهم وسد كل حاجاتهم»[١].

العناية بالمناطق المحرومة

في الوقت الذي كان فيه وكلاء الإمام، والذين يملكون إجازات قبض الحقوق الشرعية، يحق لهم فقط التصرف بثلث المبلغ وصرفه في مكانه المناسب، أما الثلثان الباقيان ينبغي إرساله إلى المكتب ليصرف في مجالات الحوزة العلمية وإعلاء كلمة الله. وأما في المناطق المحرومة والبعيدة عمل الإمام على عكس ذلك. فأعطى إجازة بصرف الثلثين في تلك الأماكن وإرسال الثلث الآخر إلى المكتب، وفي المناطق التي ارتفع فيها معدل الحرمان بدرجة عالية جداً، فقد أجاز صرف جميع أموال الحقوق الشرعية بشرط صرفها في الموارد الشرعية المحددة من مساعدة للفقراء المؤمنين الملتزمين، ولم يستثنِ الإمام من هذه القاعدة، وكلاءه في باقي الدول الإسلامية ومن جملة هؤلاء بعض العلماء في لبنان وهم من علماء حزب الله أجازهم بصرف الثلث أو النصف في بلدانهم، وأجاز بعضهم شفهياً بصرف الثلثين على أن يتم إرسال الثلث إلى المكتب ونعاود إرساله مجدداً إلى لبنان بأمر من الإمام وكان الإخوة يصرفون الحقوق الشرعية من خلال صندوق بيت المال الذي أسس في لبنان لأجل خدمة الفقراء

(١) في ظلال الشمس، ٦٦.

ومساعدتهم والاهتمام بخدمة المؤمنين المحتاجين ومصالح المسلمين العامة وكان بيت المال يُرسل في نهاية المطاف كشفاً بيانياً عن أعمالهم إلى مكتب الإمام في طهران، إضافة إلى ما تقدم أجاز الإمام لكثير من وكلائه فيما يتعلق بأوضاع عوائل الشهداء، التعبئة العامة، المجاهدون، وبصورة عامة كل الذين يعملون في خدمة الإسلام، وإعلاء كلمة الله ووضعهم المعيشي متدنياً بأن يتصرفوا حسب التشخيص الذي يرونه مناسباً بشأن إمهالهم في الدفع وتقسيط المبالغ المتوجبة عليهم بعد مراجعتهم واحتساب خمسهم وإذا رأوا من الضروري في بعض الموارد إبراء ذمتهم بالكامل يتصرفون بذلك تماماً كما كان يفعل الإمام أيضاً في مثل هذه الموارد المذكورة بصورة عامة[١].

صاحب المنزل المتواضع

خلال فترة إقامة الإمام في النجف الأشرف، وكغيره من مئات طلبة العلوم الدينية، قد اتخذ لنفسه منزلاً متواضعاً يقع في أحد تفرعات شارع الرسول، حتى في الفترة التي أعقبت انتصار الثورة والتي قضاها الإمام في قم أو التي أمضاها في جماران والتي ناهزت العشر سنوات، كان كغيره من المستضعفين مستأجراً لبيت قديم عند السيد جماراني.

---

(١) م.ن.

هذا المنزل الذي بلغت مساحته ١٢٠م٢ مع طابق سفلي مساحته ٧٠م٢ استأجره الإمام من صهر السيد جماراني، الذي قام بتوزيع إرث والده بعد وفاته، وقدم في الأثناء بيتاً قديماً لإمام بلده جماران، لقد عاش الإمام الخميني في هذا المنزل الصغير المتواضع جداً الذي شاهده الجميع عن قرب أو عبر شاشات التلفزيون ـ حياة متواضعة استطاع خلالها أن يمتلك قلوب الملايين من مسلمي العالم ومستضعفيهم، وباعتماده على الإيمان والقدرة الإلهية المطلقة استطاع أن يدك عروش الطواغيت وقوى الاستكبار الشيطانية(١).

خاطرة عن مراسل أميركي

كانت الحياة البسيطة التي اعتادها الإمام بالرغم من عظمته وسموه واستقامته وزهده، أشد انبهاراً وأكثر دهشة وخصوصاً لأولئك الذين يشاهدون عن قرب حياة الجبابرة وحكام العالم المادي المستكبر في قصورهم الفخمة المخزية. وفي أحد الأيام، قدم إلى جماران مجموعة من الصحفيين الأجانب وكان أحدهم وعلى ما يبدو أنه شاب أميركي، ولكم كانت حيرته واندهاشه عظيمين حينما رأى وشاهد منزل الإمام ومكان إقامته ورغم أنه شاهد كل شيء بأم عينه إلاّ أن تلك المشاهدات بالنسبة له كانت

---

(١) م.ن.

غير قابلة للتصور والتصديق وعلى هذا الأساس بدا وكأنه يفتش عن شيء غير عادي والحال كذلك، فإن حس البحث واكتشاف الحقيقة التي يتمتع بها الصحفي عادة قد وصلت إلى طريق مسدود، وبدأ يبحث عن شخص يتحدث معه علّه يجد ضالته، ويجد حلاً للغز الذي يدور في خلده، وأخيراً اقترب مني وبلهفة وشوق عظيمين بدأ حديثه معي، لم أفهم ما يقول، لكن لسان حاله يتحدث عن كل شيء وأخيراً وجد المترجم ليترجم له حديثه. كان قد نصب في منزل الإمام خيمة من الحديد غطيت بقماش واسع، تمنع من البرد والأمطار في الشتاء وتقي الناس حر الصيف وأشعة الشمس المحرقة.

كان سؤاله: لماذا نصبت هذه القضبان والقواطع الحديدية فهل أدخلت فيها الأسلاك الكهربائية؟

وسأل أيضاً: حقيقة هل هذا هو منزل الإمام؟

وبتوضيحي وإجابتي عن السؤال ازداد تعجبه، وأكملت معه حديثي موضحاً نقطة مهمة بحيث إنها لم تكن لتخطر ببال صحفي باحث!

هذا المنزل الذي تراه مستأجر، وليس ملكاً للإمام، ازداد تعجبه وكان واضحاً أنه لم يصدق ما أقول، فهو لا يستطيع أن يتصور شيئاً من هذا القبيل، واغرورقت عيناه بالدموع وتبدلت حاله، واعترته حالة فتحت أمامه آفاقاً جديدة، ولكن عيناه غير قادرتان على رؤية ذلك، وهذا الكلام غير قابل للتصور والتصديق

في أعماق فكره. شكرني من أعماق قلبه ولم تعد هناك حاجة للترجمة بحق وصدق أن كل صفة من صفات الإمام وكل فضيلة من فضائله تعتبر من خصائص الإسلام، وفضائله، ومميزاته، وما هي إلاّ من تجليات الإمامة والقيادة في الحكومة الإسلامية وبمقايسة هذه الخصائص للقيادة والحكومة الإسلامية مع سائر الأنظمة والحكام الآخرين كافية عند من يمتلك الحد الأدنى من حرية الفكر أو الحس الإنساني ليحكم بأحقية الإسلام ويقتدي بالنظام الإسلامي العادل مخلص البشرية[1].

لا أضع رجلي في الحليب

في خريف سنة ١٩٨٥ ميلادية أصيب الإمام بمرض جلدي في ساقه حيث أصيب بالجفاف وتشقق الجلد. استدعى أحد أطباء الجلد واسمه الدكتور نجفي وبعد معاينته للإمام ووصف الدواء قال: ينبغي أن تضع رجليك في الحليب يومياً مرة أو مرتين وعلى الرغم من أن الإمام يتعاطى بلطف وليونة مع الأطباء وإرشاداتهم الطبية، ولكن ما إن سمع بمسألة وضع رجليه في الحليب حتى ارتعدت فرائصه بشدة وأجاب بلهجة حادة وقاسية[2]:

«لا أقوم بهذا العمل».

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن، ٧٢.

الخطأ والاشتباه لا يسبب الطرد

أحد النواب المعروفين في مجلس الشورى الذين يحترمهم الإمام، وبعد أن تشرّف بلقائه ناولني رسالة منه، وقال:

بشكل عام مضمون هذه الرسالة تحدثت به مع الإمام وطلب مني أن أكتب ما قلته وأقدمها لجنابه بواسطتكم كان موضوع الرسالة يتعلق بأحد رجال الدين المؤمنين وهو من المبلغين ذات مستوى علمي رفيع خُلع زيه بناء على أنه دعا بطول العمر للشاه المقبور، واعتبر ذلك جرماً ارتكبه، علماً أن هذا الشخص من المؤمنين بالثورة والإمام ومن دعاة الإسلام، ويطلب إعادة النظر في الحكم، بعد يوم عرضنا مضمون الرسالة على الإمام فتفضل قائلاً:

قولوا للسيد اردبيلي إذا لم يكن هذا الشخص قد عمل في خدمة النظام وقد وقع في اشتباهه وخطئه نتيجة للضغط الذي كان موجوداً آنذاك، وإذا كان من الأشخاص الجيدين وبما أن ضميرهم ما زال يؤنبهم حتى الآن فينبغي التعاطي مع هؤلاء بغير هذا الأسلوب، كما لا ينبغي طردهم بسبب ذلك الاشتباه، وأبلغت السيد اردبيلي بالموضوع حيث قام بالإجراء اللازم[1].

---

(١) م.ن.

المسامح الكريم

لقد حدث في بعض الموارد أن أشخاصاً أخطأوا بحق مقام الإمام، وحدّثوا عنه بأمور لا يعقلها أحد، لكن، سرعان ما أنار الله قلوب أولئك المخطئين، فأبصروا درب الهدى، وتحسسوا الندم على جرأتهم وفعلهم بحق الإمام فكتبوا إليه رسائل يطلبون فيها المسامحة والاعتذار، وعندما تصل إلى الإمام كان مباشرة دون استثناء يقول: «سامحته» وأحياناً كان يدعو لهم، ويجيب على رسائلهم من خلال مكتبه ومن جملة الرسائل التي وصلت إلى الإمام رسالة من قبل زوجة أحد المعتقلين السياسيين في بلاد فارس جاء فيها: «انطلاقاً من وقوع الإنسان في الخطأ الدائم، فإن زوجي قد تجرأ على مقامكم القيادي المقدّس، وأساء الأدب وإني أتقدّم من مقامكم العالي نيابة عنه وأنا أشعر بالخجل بطلب العفو والمسامحة له مع رجائي قبول ذلك»[1].

العالم الواعظ المؤثر

من المعروف عن الإمام أنه في اليوم الآخر من أيام التحصيل قبل التعطيل لشهر رمضان المبارك أو شهر محرم الحرام كان يتعرض لبعض الملاحظات الأخلاقية والعرفانية فقط، وفي أحد الأيام التي مرّت بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك في

---

(١) م.ن.

النجف الأشرف، وبناءً على القاعدة التي ذكرناها، ألقى خطبة رائعة بحسب تعبير أحد الأصدقاء الذين كانوا يشاركون في هذه الجلسات الأخلاقية للإمام وكان مشاركاً لحلقات درسه منذ أيام ثم أي قبل نفي الإمام من إيران، فعبّر عن ذلك قائلاً: إنها أفضل درس أسمعه من الإمام ولا مثيل له على الإطلاق، كان لوقع خطبة الإمام في ذلك اليوم صدًى كبيراً في نفوس الحاضرين حيث علا البكاء في مسجد الشيخ الأنصاري الذي كان ممتلئاً رغم مساحته الواسعة، وعاش الطلاب حالة من الشفافية والروحانية نتيجة لكلام سيد العارفين المعطاء، حيث كان كلام الروح ينبعث من روحه الطاهرة، لتستقر في القلوب، ولينطلق من الذات ليحلق في الفضاء اللامتناهي، إن لحسن كلمته وقعاً شديداً بحيث سخّر أرواح الحاضرين، وارتقى بها في العالم المادي لتحلق في آفاق عشق المعبود لقد وصل بكلامه إلى الذروة، ومما وردني مضمونها!

«ما دمتم شباباً فاعملوا على إصلاح أنفسكم فإذا ما أصبحتم شيوخاً...؟ وفجأة انطلق صوت من زاوية المجلس ليؤثر على جو الحضور ويكسر الصمت والهدوء اللذان كانا يلفان المجلس، ويبعثر أفكار السالكين والحاضرين. لقد كان شيخاً معروفاً بالفضل، وينظر إليه بعين الرضا وقف يتكلم بصوت متهدج ويقوم بحركات ملفتة للنظر».

نزعت عمامته عن رأسه وبدا لمعان رأسه الخالي من الشعر

وهو يقف بين الجموع على هذه الحالة وهو يلطم رأسه بكفيه أسفاً وتحسّراً يقول: وأنا.. كيف أستطيع أن أصلح نفسي؟؟

لا شك أنه لم يكن لهذا الشيخ أي غرض، ولم يكن مريضاً ولم يعرف المزاح في مواطن الجد والعمل، ولكن مع هذا كله، كان لحركته المتهورة أثراً في المقام، مما دعا الإمام إلى الاختصار وإنهاء المطالب مع تخفيف لصوته ثم ختم حديثه بالدعاء، وفي تلك اللحظة خطر ببال أكثر الحاضرين جو خطبة الشقشقية والتي كان لحركة الأعرابي الغير متوقعة أثراً لإيقاف كلام حضرة أمير المؤمنين عليه السلام مما دعا بالجميع إلى التأثر بشكل أقوى مع شعوره بعدم الراحة والانزعاج مما حصل، ولو لم يكن الجو ملكوتياً تصحبه أجواء إيمانية روحانية، لحصل للشيخ ما لا تحمد عقباه لما سببه من حرمان الآخرين لذاك الجو الروحي الذي كان سائداً أثناء الدرس[1].

السبق في التحية

كان الإمام يبادر بالسلام إذا ما دخل إلى مكان ما، حيث من المستحيل أن يسبقه أحد إليه، وفي أحد الأيام صادف أننا سبقنا الإمام في الدخول إلى الغرفة التي كنا نلتقي بها، وبينما العيون محدقة بالباب تنتظر دخوله المبارك مع استعدادنا الكامل

---

(١) م.ن.

للسلام، ومع ذلك غفلنا عن السلام عليه، وما إن سمعنا فتح الباب حتى رنّ صوت سلام الإمام في أسماعنا، وبقينا حيارى في أمرنا ترى! هل أنه سلّم بعد دخوله علينا أم أنه سلّم أولاً ثم دخل علينا، وفي يوم آخر من أيام النجف الأشرف وفي الزقاق الفاصل بين مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري وبين منزل الإمام، حيث كنت أمشي مطأطىء الرأس، وأنا على هذه الحال، وإذ بي فجأة أحس بوجود شخص يسلّم علي، وعندما رفعت رأسي فوجئت بشخص الإمام المبارك»[١].

لا تمنوا علينا أداء واجبكم

جلب أحد التجار الإيرانيين مبلغاً ضخماً من الحقوق الشرعية لسماحة الإمام، وبناءً على فهمه الخاطىء الذي تعلمه من الآخرين، وضعف إيمانه، وكأنه يريد أن يمنن الآخرين بإعطائهم المال، والذي ما زال قلبه متعلقاً فيه إلى درجة كبيرة وحين حضوره بين يدي الإمام، طلب منه أن يخفف عنه الخمس فمثلاً أن لا يأخذ الإمام من خمس سيارته التي تعلق بها الخمس فما كان من الإمام إلا أن وضع أمامه كل الحقوق التي جلبها وتفضل بالقول:

الأخ: ...، ليس لك منة وفضلاً علينا بجلبك المال إلينا؟؟

(١) م.ن.

كلا، نحن لنا الفضل عليك لأنك عندما تدفع المال ونقبله منك تبرأ ذمتك أمام الله، وهذه أولى مسؤولياتنا، وفي الفترة التي كنا فيها عند الإمام بجماران أصبح هذا التصرف سنة ثابتة وهي أنه لا يوجد أي امتياز أو أفضلية لشخص يدفع المبالغ الطائلة من الحقوق الشرعية على شخص يدفع خمس أو عشرة توامين في مجال العمل، لأن ملاك التعاطي مع الآخرين إنما هو الإيمان والتدين والإخلاص.. ويمكن لبعض الأشخاص الذين يدفعون الخمس أن يكون لهم مآرب ومقاصد غير إلهية، وبمجرد معرفة هذا الأمر كنا نرفض الحقوق مهما بلغت فضلاً عن استلامها ونطرد القادمين لدفعها، وفي المقابل كنا نكرم أولئك الذين يأتون لدفع الحقوق الشرعية وعلامات الإخلاص والإيمان بادية عليهم رغم أن المبلغ الذين يريدون دفعه ليس بالشيء المهم، وكنا أحياناً نهيىء لهم فرصة اللقاء مع الإمام لتقبيل يديه.

عندما يعلم الإمام بأن الذي يدفع الحقوق الشرعية هو من أبناء المستضعفين وبأن وضعه المادي ليس جيداً كان الإمام بعد استلامه الحقوق الشرعية يعيدها له مباشرة، وأحياناً يقوم بهذا العمل مقروناً بدعائه بالخير لهم[1].

---

(١) م.ن، ٦٥.

تمليك المزارعين الفقراء

والموضوع الذي يشد الانتباه، يتعلق بقطعة من الأرض تقع في أطراف أصفهان وضعت بتصرف الإمام تحت أحد العناوين الشرعية وكان سماحته قد وكّل أحد الفضلاء ببيع هذه الأرض وقبض المال وبعد فترة من الزمن وبتاريخ شهر كانون الثاني ١٩٨٣م. قيل للإمام إن الوكيل قد باع الأرض في أصفهان، بيد أن المزارعين الذين كانوا يعملون في تلك الأرض وضعهم سيئ وهم من الفقراء المعدومين وقد ذهبوا إلى آية الله بسند يده (أخ الإمام) واشتكوا له أنه ببيع الأرض المذكورة لم يعد لدينا أي عمل نعتاش منه، عند سماع الإمام كلام المزارعين تفوّه بلهجة شديدة وصارمة «فلتعطى الأرض للمزارعين وليتملكونها»[١].

لا تعنيه الألقاب والشهرة شيئاً

يقول السيد حميد الروحاني:

كانت سيرته البساطة والتواضع والابتعاد عن حب الذات، لقد طُبعت رسالته العملية ـ تحرير الوسيلة ـ في النجف الأشرف، وكُتب على غلافها: (زعيم الحوزات العلمية)، وكان السيد الخوئي آنذاك يُلقّب بزعيم الحوزة العلمية، ولما رأى الإمام ذلك استشاط غضباً، ثم استدعى المسؤول ليسأله: من أمرك بهذا

---

(١) م.ن.

العمل؟ لِمَ كتبت هذه العبارة؟ وأذكر أنه أنذره: إن بقيت هذه العبارة على الغلاف ، فسأُلقي بجميع النسخ في نهر دجلة. فبذلت جهود مضنية من أجل إزالة تلك العبارة[١].

ويقول الشيخ محمد رضا التوسلي:

لم يفكّر الإمام قط بالمرجعية والتصدّي لزعامة الحوزة العلمية بعد رحيل آية الله العظمى السيد البروجردي، رغم اتجاه الأنظار صوبه آنذاك، بل ذهب أبعد من ذلك ليتحفّظ حتى على حضور المجالس والمحافل التي كانت تعقد في قم. ذات يوم اقترح عليّ أحد الإخوة أن أذهب إلى الإمام، وأطرح عليه قضية طبع الرسالة العملية علّه، يوافق، فدخلنا صباحاً، فتحدّث ذلك الأخ أن المجتمع الإسلامي اليوم بحاجة ماسّة إلى تصدّي الإمام، ثم أضاف بعض العبارات التي تشمّ منها رائحة الغلو والإفراط، فتغيّر وجه الإمام ليردّ عليه بالقول: «كلا، ليس الأمر كما تقول فمن أكون حتى يتوقّف الإسلام عليّ»، أما حاشية الإمام على العروة الوثقى فقد تطوّع بعض طلبة العلوم الدينية بطبعها على نفقتهم، إلاّ أن أموالهم لم تستطع تغطية جميع النفقات، فقلت للمرحوم الاشراقي: لو تكلّمت مع الأيام بشأن تغطية بقية نفقات الطبع؟ فأجابني: بعد عدّة أيام إن الإمام قال: «لم آمركم بالطبع»[٢].

---

(١) لمحات من حياة الإمام، ٨٩.

(٢) م.ن.

يقول الشيخ الكرماني: أريد أن أسكن في بيت كالذي يسكنه والدك لقد شكا الإمام من نوبة قلبية اضطرته لدخول المستشفى والخضوع للعلاج، إلاّ أنه كان يقول: أشعر بتحسّن حالتي، ولا أحتاج إلى البقاء أكثر في المستشفى، فأخرجوني وإلاّ خرجت بنفسي، أما الأطباء فقد نصحوا بألاّ يبتعد الإمام في سكناه عن المستشفى خشية حصول ما لا تحمد عقباه، فاستأجرنا بيتاً بثلاثة طوابق؛ طابق للإخوة من قوات حرس الثورة، والآخر لأسرة الإمام، والثالث للإمام واستقبال الضيوف، لم يسكنه الإمام كثيراً، فقد كان يراه كبيراً، ولا يليق بمثله السكن فيه، فالتفت إلى الشيخ رسولي وقال له: أريد أن أسكن في بيت كالذي يسكنه والدك، كان والده يسكن في منزل من الطين، ولا ندري كيف يمكننا العثور على مثل هذا المنزل، ولذلك اضطررنا أخيراً للاستقرار في حسينية جماران للاستفادة منها في اللقاءات العامة؛ اتخذنا دارين قرب الحسينية: أحدهما للمكتب والآخر للإمام، طبعاً لا تتجاوز مساحتهما المئة وستين متراً، يضم منزل الإمام غرفتين خصّصت إحداهما لنوم الإمام واستراحته، بينما جعلت الغرفة الثانية للضيوف، بحيث إذا اكتظت أحياناً بهم انتقل قسم آخر منهم إلى الغرفة الثانية[1].

❀ ❀ ❀

(١) م.ن.

هل أنتم راضون أم لا؟؟

يقول الشيخ محمد أنصاري الكرماني:

ذات يوم، تبرّع أحد الأفراد بترميم الحسينية، فلمّا رأى ذلك الإمام انفعل جداً، وقال: ليكن ترميمكم لهذه الحسينية بعد موتي. من جانب آخر، فقد كنّا ندفع إيجار المنزلين، غير أن الإمام صرّح قائلاً: أريد أن أرى أصحاب هذين المنزلين، فإني أشعر بالقلق فلعلهم لا يرضون ببقائنا، فدخلوا عليه، فحدّث الإمام الرجال أول الأمر، وسألهم: هل أنتم راضون عن بقائنا أو لا؟ فجاملوه كثيراً، وقالوا: إن ذلك شرف عظيم لنا ولهذا الحي، فقال الإمام: دعوا المجاملة جانباً وأخبروني حقاً: هل أنتم راضون أو لا؟ فأجابوه بالإيجاب، فقال سماحته: فلتأت النساء، فسألهن الإمام قائلاً: لعلكنّ ترغبن في الاستقرار هنا ولا تحبذنّ السكن في مكان آخر، فأعربن له عن ارتياحهنّ ورضاهنّ في هذا الشأن. آنذاك قال الإمام: إذن سأبقى.

وكم أتمنى أن يكون معي الكشف الذي قدّمه الإمام بأمواله وأملاكه إلى الدكتور البهشتي بوصفه رئيس الديوان العالي للبلاد، لتروا حجم الأملاك التي يمتلكها زعيم الثورة الإسلامية المباركة، طبعاً هناك بعض المواد في الدستور التي تلزم كلاً من قائد الثورة الإسلامية ورئيس الدولة وسائر المسؤولين وأولادهم بتقديم كشف بممتلكاتهم وإرساله إلى الديوان العالي للبلاد، ولم يتخلّف عن إرسال مثل هذا الكشف سوى بني صدر، بينما بعث الإمام

بكشفه، في سطرين، وصرّح فيه: إني أمتلك كذا كتاب وكذا مقدار من المال العائد لبيت المال، ثم أمر أولاده بتقديم مثل هذا الكشف[1].



احترام العلماء

لقد كان سماحة الإمام يكنّ احتراماً خاصاً للناس المسنين وخصوصاً لمن سبقه بتحصيل العلوم، حتى لو كان البعض منهم يخالف توجهات الإمام السياسية. ولقد عرف الإمام بدقته في تنظيم الوقت ووضع البرامج لعمله اليومي في المكتب، وبعد الانتهاء من عمله كان يتوجه تواً لاستقبال الزائرين، وفي أحد الأيام كنا في خدمته، منهمكين بالعمل وإذ بصوت الإمام يقول: «انتظروا» هل أتى السادة العلماء أم لا؟

كان في انتظار أربعة من العلماء القدامى في تهران حيث كان الإمام قد أعطاهم موعداً للقاء بهم، وبينما كان يسأل عنهم وإذ بهم قد وصلوا إلى باب الحسينية وخاطبنا الإمام:

«اتركوا عملكم لوقت آخر ولا تعطلوا أوقات العلماء».

جمعنا الإيصالات، وقمنا بإيصال العلماء إلى بيت الإمام،

---

(١) م.ن.

وبدل أن يتشرفوا بزيارة المكتب أولاً ومن ثم يتم استقبالهم في البيت، أدخلناهم إلى البيت مباشرة وقبل أن يصلوا إلى غرفة الإمام، نهض سماحته بلباسه الكامل حتى مع العباءة والجبة والعمامة، ووقف مقابل المرآة يسرح شعره وجهز نفسه لاستقبالهم، في الوقت الذي عرف عن الإمام في السنوات الأخيرة أنه لا يتعاطى بهذا الشكل حتى مع الرؤساء والكثير من الشخصيات الداخلية والخارجية حيث إنه يجلس معهم من دون جبّة أو عباءة، واضعاً غطاء على رجليه لابساً القلنسوة على رأسه، ومع هذا كله دخل العلماء الأفاضل واستقبلهم استقبالاً عظيماً وعانقهم واحداً واحداً، ولم يجلس على مقعده الذي كان يجلس عليه مع زائريه، بل جلس معهم أرضاً ثم بدأ معهم الحديث، وخرجنا نحن من الغرفة، ولم ندر ماذا جرى بينهم من أحاديث، ولكن من خلال الانشراح الذي بدا على محياهم حيث كان الاحترام المتبادل يترجم عملياً من خلال جلستهم[١].

هوّن ما نزل أنه بعين الله

اعتقل نجل الإمام السيد الحاج مصطفى الخميني بعد نفي والده إلى تركيا عام ١٩٦٥م بأشهر قليلة، ثم نفي مع والده بعد مرور سنة على اعتقاله وأبعد من تركيا إلى العراق، وفي هذا

(١) في ظلال الشمس، ٨٣.

المجال ينقل المرحوم السيد مصطفى (قده): «إنه عند وصولنا إلى مطار بغداد وترجلنا من الطائرة لم نكن نعرف أحداً ولم نلتق بأحد من معارفنا، ولم يكن في حوزتنا أموالاً حتى أجرة التاكسي كي ننتقل من المطار إلى الكاظمية».

واقعاً في حياة هذا الإمام العظيم والذي يعتبر مرجع التقليد الذي يقلده عشرات الملايين من الشيعة لأمر ملفت وعظيم فالإمام الذي كان حلم الشعب وباعث أمل الأمة بكاملها. يصل به الأمر إلى مرحلة يعيش فيها الغربة والحيرة والاضطراب في كيفية الوصول لى الكاظميين، وكيفية دفع المال، ماذا يفعل؟ هل يقترض مالاً؟ وممن يقترضه، أم يستقل التاكسي ويقول لصاحبها ليس عندي مالاً كي أعطيك. وبينما هم على هذه الحال من تشتت الأفكار، خطى الإمام بضع خطوات وفجأة توقفت سيارة إلى جانبهم، لقد كان من أحد المحبين للإمام قد زاره منذ فترة وصادف أن مرّ في تلك المنطقة حتى وقع نظره على سيدين معممين يمشيان فخفف سرعة سيارته وتأملهما ملياً. وجهان أعرفهما، وقفت بالقرب منهما أخذتني الدهشة. هل صحيح ما أرى؟! تسارعت الأفكار ضاغطة عليّ في قم! تهران! ٥ حزيران!... الأبعاد... تركيا... ولكن!... إنني هنا في بغداد... هنا المطار... هل هذه حقيقة... أم أنني في المنام... نعم يرى الإمام ويقف إلى جانبه ابنه السيد مصطفى: فقفز من سيارته بسرعة البرق الخاطف وتوجه نحوهما وقال: السلام عليكما، أنتما هنا؟ متى وصلتما؟ ماذا تفعلان هنا؟ هل

تنتظران أحداً؟ تفضلا لأوصلكما بسيارتي إلى حيث تريدان؟ ركبا معه وذهبوا إلى حرم الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الجواد وهناك التقيا بالعلماء والناس.

أربعة عشر عاماً: انقضت على هذه الحادثة، لتتكرر صورتها بشكل آخر لكن هذه المرة على الحدود الكويتية عام ١٩٧٩م عندما هاجر من العراق، ولم تمضِ أشهر على الحدث الثاني حتى استقبل في طهران بتاريخ ١١ شباط ١٩٧٩م في مطار مهرآباد الدولي، استقبال القادة العظام الفاتحين، إنها نتيجة السير في خط الله والهجرة إليه، لقد رأينا جميعاً عبر شاشات التلفزة، وسمعنا من الإذاعات، عندما توجهت طائرة الإمام من باريس باتجاه طهران كيف سأله أحد الصحافيين «ما هو إحساسك في هذه اللحظات».

وكان جواب الإمام «لا شيء» لقد ذهب المحللون المغرضون والغربيون والصهاينة إلى الإساءة لشخص الإمام، حينما أشاعوا أن الخميني لا يهتم بأحاسيس شعبه الذي ضحى بإخلاص لأجله ولكن الشعب الواعي لقضيته لم تنطلي عليه ألاعيب المستعمر الدنيئة، فالأمة الإسلامية تتطلع إلى أقوال الإمام من منظار يختلف عن منظارهم، من منظار قائم على الإيمان المتين بالإمامة والولاية، كانت الأمة تعلم أن كل ما قاساه الإمام من عذاب وتهجير وإبعاد ونفي لم يكن إلاّ في سبيل الإسلام وجسد الإمام بتفانيه وحبه وإخلاصه، المبادىء والقيم والمفاهيم من أجل نجاة الأمة والشعب وهذا الشعور كان متبادلاً

فيما بينهم حين لم يعط الإمام جواباً لذاك الصحفي الذي سأله كان بناء على تصور الصحافي الذي يعتقد بالأسس المادية ويعتبرها منطلقاً له ولأمثاله ولا يعقل لذلك الصحافي أن يفهم مراد الإمام فكان يتصور أن همَّ الإمام محصور في كيفية استقطاب هذا الشعب حتى يصل إلى سدّة الزعامة والرئاسة، هذا السؤال الذي صور من ذلك الصحافي في الوقت الذي كان فيه طاقم الطائرة وكل من كان فيها يعيشون الخوف من عدم السماح لهم بالهبوط والعلم على تفجير الطائرة في الجو قبل هبوطها «لو سأل أحداً من الركاب في ذلك الوقت لما استطاع إخفاء خوفه على مستقبله فيما لو أراد الحديث بصدق، فجواب الإمام بقوله «لا شيء» كان يعني أنه لا يهاب الموت حيث إن الموت بالنسبة إليه بداية الحياة الأبدية والشعور بالسعادة الكاملة للوصول إلى عالم الرحمة والقدرة الإلهية وجواب «لا شيء» عند هؤلاء الذين يحسبون حساب كل شيء مادي كان بالنسبة للإمام القيام بالتكليف الذي يراه واجباً من قبل المولى ﷻ ولا يبغي شيئاً آخر، غربته في مطار بغداد الدولي، وعدم توفر عشرة فلوس ليدفع أجرة التاكسي وهو الذي اشتهر في أنحاء الدنيا وعرفته الملايين من الشعوب لم يغير في نفسه من شيء. ولم يحس أو يشعر بشيء لغير الله وفي سبيل مرضاته سار في خطوته يريد وجه الله غير عابىء بمصيره وأحواله الذاتية[1].

---

(١) م.ن.

خمسة أعمال في وقت واحد

إن سماحته كان يمارس بشكل دائم وفي وقت واحد أكثر من عمل وعلى سبيل المثال، في أوائل شهر نيسان سنة ١٩٨٤م استدعاني الإمام حدود الساعة السابعة مساءً لإنجاز عمل معين، وعندما تشرفت بخدمته كان قد انقضى عن وقت أذان المغرب حدود الساعة والإمام ما زال مشغولاً بتعقيبات صلاتي المغرب والعشاء وفي الأثناء يمارس الأعمال التالية:

١ ـ يحمل المسبحة في يديه ويسبح الله.

٢ ـ وهو مستلقٍ على ظهره يحرك رجليه من الأسفل إلى الأعلى وبالعكس بناءً على نصائح وإرشادات طبيبه الخاص.

٣ ـ يشاهد التلفزيون من دون صوت.

٤ ـ يستمع إلى الراديو.

٥ ـ إضافة إلى ذلك كان حفيده الصغير «علي» يجلس إلى جانبه ويسعى جاهداً ليقلد حركات الإمام، ولم تمنع جميع الأمور المذكورة الإمام من إبراز حنانه وعطفه الأبوي على هذا الطفل الصغير، وهكذا نرى أن الإمام كان يقوم بخمس وظائف في آن واحد، وبشكل دائم. ودائماً كنا نشاهد الإمام يمارس رياضة المشي عصر كل يوم، بناءً على أنها من الأعمال الضرورية واللازمة لسلامته وصحته وانطلاقاً من (قوِّ على خدمتك جوارحي) لأجل خدمة دين الله، وهو يقوم بهذا العمل كان يحمل سبحة

ويشتغل بذكر الله وفي اليد الأخرى جهاز راديو يستمع إليه ويطلع من خلاله على كل مجريات الأحداث في الداخل والخارج بناءً على ما تقدّم يمكننا القول أن عمر الإمام الواقعي ليس سبعة وثمانين عاماً من الناحية الكمية للبذل والعطاء التي انحصرت في هذه الفترة الزمنية، إنما هذا العمر من الناحية النوعية والمضمون والمحتوى ونظراً لاتصاله بمبدأ الوجود اللامتناهي، باقٍ إلى ما لا نهاية وخالد بخلود الحق والحقيقة[1].

النهي عن الخرافة

أثناء زيارة الإمام لحرم أمير المؤمنين المطهر، وحين عبوره الممر الشريف الذي يؤدي به إلى الضريح، أثار انتباهه وجود شخص قد خرَّ ساجداً يقبّل عتبة الحرم الشريف، وأثار هذا المشهد سماحته، فتصرف إزاءه برد فعل سريع وقال لأحد الأشخاص المرافقين له:

«قل لهذا الشخص أن ينهض ولا يقوم بمثل هذا العمل».

وهذا الفعل الصادر من الإمام يعتبر عملاً استثنائياً بالنسبة لسائر الحوادث وفي حدود فهمنا وإدراكنا للأمر يوجد ملاحظتين مهمتين هما:

أولاً: إن القيام بهذا العمل في نفسه قد اتخذ حالة وهيئة السجود، ولا يجوز السجود لغير الله..

---

(١) م.ن، ٩٠.

ثانياً: إن هذا العمل وأمثاله من الأعمال الأخرى قد يستفيد منها أعداء الإسلام ويتهمون الشيعة بالكفر والشرك، علماً أن هؤلاء الناس ليس بنيتهم السجود لغير الله، وإنما تعظيم المقامات الشريفة للأئمة عليهم السلام ولكن الأعداء والمغرضين المتربصين يجيرون مثل هذه الأعمال لاتهام الشيعة وتسديد السهام لعقائدهم، لذلك نهى الإمام عن هذا العمل[١].

ولعل السكوت عن الجواب جواباً

عرض على سماحة الإمام بأن الشخص الفلاني من المعروفين جداً بعلاقته مع الإمام، قد اتصل به تليفونياً وقال: إنه لا يوجد مصلحة في إقامة المسيرة المقررة هذا اليوم تحت عنوان الاعتراض على الكويت والسعودية، فسكت سماحة الإمام بدا وكأنه لم يسمع[٢].

الغاية من الدرس

وصلت بتاريخ ١٩٨٦/٨/١١م رسالة من أحد أئمة الجمعة المحترمين ومن تلامذة الإمام المعروفين لديه، وكان مضمون الرسالة: أعمل يومياً ١٤ ساعة، وأنا إمام جمعة منذ سبع سنوات

---

(١) م.ن، ٩٦.

(٢) م.ن.

مما سبب لي تأخراً في الدراسة العلمية، ونسيت معلوماتي، لذا أرجو منكم أن تسمحوا لي بالاستقالة من منصبي كي أعود ثانية إلى الحوزة لفترة محدودة وعندما عرضت الرسالة على الإمام أجاب:

إن الدرس لأجل خدمة الإسلام والمسلمين، والآن أنتم مشغولون بهذا العمل، وإذا كانت مشكلتكم أنكم تريدون الدرس واصلوا عملكم ولكن عليكم بالمطالعة إضافة لذلك[١].

كونوا طلبة علم أيها السادة

كتب أحد أئمة الجمعة لإحدى المحافظات رسالة مبنية على أن المبلغ الذي يعطى لهم كراتب شهري لا قيمة له، ولا يسد حاجة إيجار المكتب أو راتب خادم هذا المكتب ويطلب فيها زيادة المبلغ: فأجاب الإمام:

«كونوا طلبة علم أيها السادة»[٢].

هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً

يقول الحاج مصطفى كفاش زادة:

وفي الليلة التي عزم فيها على العودة إلى إيران، دعانا

(١) م.ن.

(٢) م.ن.

جميعاً، وكنا حوالي عشرين فرداً، فقال: لقد عزمت على العودة إلى إيران، فشكر لنا جهودنا وخدماتنا ودعا لنا بالخير والتوفيق ثم قال: لا أرغب في أن ترافقوني على متن الطائرة نفسها، فلعلّ هناك بعض الأخطار التي لا ينبغي أن يتعرّض لها أحد غيري، وكأنه يذكّرنا بالإمام الحسين عليه السلام حين رفع البيعة عن أصحابه ـ وإن لم تكن هناك من نسبة للمقارنة بيننا وبين أصحاب الحسين عليه السلام ـ، فتعالت أصواتنا بالبكاء على أننا لا نملك سوى أرواحنا التي يشرّفنا أن نفدي بها الإسلام والإمام والثورة، وهنا أجهش أحد الإخوة بالبكاء حتى أغمي عليه ـ وهو من العاملين في مكتب الإمام والذي ذاق الأمرّين من ظلم النظام الشاهنشاهي، فالتحق بالإمام في باريس ليقدّم له بعض الخدمات ـ طالباً مرافقة الإمام، فتأثّر الإمام كثيراً وأذن لنا بمرافقته، فشعرنا بقوة موقفنا فطالبنا الإمام بأخذ بعض الصور التذكارية معه، فقال سماحته بعد أن ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه: «في خدمتكم»[1].



هذا وقت الإتيان بالمستحبات

تقول السيدة دباغ:

لقد رافقت الإمام أربعة أشهر في «نوفل لوشاتو» كانت مليئة

---

(١) لمحات من حياة الإمام، ٩٢.

بالدروس والعِبر، فالإمام شخصية عظيمة ولا بدّ من تأمل كافة أبعاده وجوانبه من أجل التعرّف عليه والذوبان فيه كما ذاب هو في الإسلام، والإمام قدوة في سلوكه الاجتماعي والسياسي والديني، الصفة الأولى في الإمام التي من شأنها استقطاب الآخرين وشدّهم إليه إنما تكمن في جانبه المعنوي والتزامه بالمفاهيم القرآنية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فبغضّ النظر عن امتثال الواجبات، كان سماحته ملتزماً بالإتيان بالمستحبات التي تمثّل زينة أعمال المؤمن، وقد جاء في الحديث القدسي: «ما زال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وأذنه التي يسمع بها ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها»، فقد قال أحد الإخوة ذات يوم: «إن المراسلين الأميركان يريدون عقد مؤتمر صحفي مع الإمام، وسيبثون وقائعه بصورة مباشرة، ولو حصل هذا الأمر فإنه سيشجع سائر المراسلين الأجانب من الدول الأوروبية لعقد مثل هذه المؤتمرات؛ الأمر الذي يمثّل دوراً مهماً في بيان مواقف الإمام وتطورات المسيرة الثورية». كان هذا الكلام في يوم الجمعة، فدخلت على الإمام وطرحت عليه الموضوع فردّ سماحته قائلاً: «هذا وقت الإتيان بالمستحبات ـ يقصد غسل الجمعة ـ لا عقد المؤتمرات»، فلما فرغ من غسل الجمعة، قال: أنا مستعد للمؤتمر الصحفي، فعقد المؤتمر أخيراً[1].

---

(١) م.ن.

خاطرة للسيد رسولي محلاتي

يقول السيد رسولي محلاتي:

قام النظام الشاهنشاهي البائد، عام ١٩٦٣م، بحبس الإمام ﵁ مدة تسعة أشهر، ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية في القيطرية، وأخيراً اضطر للإتيان به إلى قم لامتصاص نقمة الرأي العام، فما كان من أنصار الإمام إلا أن تدفقوا عليه وأمطروه برسائلهم وبرقياتهم، كان الإمام يتولى بنفسه قبل انتفاضة السادس من تموز كتابة ما يصدره من بيانات واستفتاءات، إلاّ أن كثافة الزخم الجماهيري وكثرة الرسائل والاستفسارات، بُعيد عودته، جعلته يفوض لي مسؤولية الردّ على بعضٍ منها؛ الأمر الذي جعلني أتعلم الدروس في أساليب الكتابة والإجابة عن الأسئلة والاستفسارات إلى جانب تعلّم فن البلاغة والخط.

ولذلك فإني مدين بالفضل لذلك الأستاذ الفذّ الكامل والمنقطع النظير، نعم كانت أعمالي من الكثرة بحيث كنت أخرج عادة قبيل طلوع الفجر إلى مكتب الإمام ولا أعود حتى منتصف الليل، ولم أكن أشعر بالتعب والملل، فقد كانت حيوية الشباب وعشق خدمة الإسلام والمسلمين لا تزيدانني سوى نشاطاً وحيوية، لقد سعى الإمام جاهداً داخل مكتبه للحدّ قدر المستطاع من نفوذ الأفراد العاملين هناك وقد امتدت هذه القضية لتشمل حتى السيد مصطفى الذي كان الإمام مشغوفاً به إلى درجة يصعب

وصفها وتصويرها، فإن الإمام كان يملي عليه ما يريد من الأوامر، ولم يكن يتساهل معه في تجاوزها وعدم تنفيذها، فقد كان كثير التشدد في استقطاب الأفراد متابعاً لسير أعمالهم، مجابهاً إياهم بما يتعلق بأعمالهم وارتباطاتهم من دون أية مجاملة ومصانعة، ولا بأس هنا بالإشارة إلى هذه القضية:

«كانت الأيام الأخيرة لإقامته في قم قبل نفيه إلى تركيا... ذات يوم جلسنا مع بعضنا نتجاذب أطراف الحديث، وكان محوره ـ والعياذ بالله ـ لعل أعمالنا وأفعالنا لا تروق للإمام الخميني، وأنه قد يستنكرها قلباً، إلّا أنه وبفضل ما يتمتع به من أُبوّة وعفو ورحمة قد لا يحدثنا بها فقررنا أن أتولى أنا إخباره بما يدور في أذهاننا، وعندما ذهبت إليه شعرت بالاضطراب الشديد، فقد كان الإمام يتمتع بوقار وهيبة وعظمة كبيرة يقع تحت تأثيرها كل من يلتقي به ويتحدث معه حتى الأفراد المرافقين له منذ مدة طويلة، وبعد أن أخبرته بالأمر، قال: أيها السيد رسولي، لا داعي لمثل هذا الكلام، فإذا ما شعرت يوماً أن وجودكم إلى جانبي يسبب ضرراً على الإسلام، آنذاك سأستغني عن خدماتكم من دون أية مجاملة، تفضلوا عودوا إلى أعمالكم!! فبهت ولم أعد أعلم ما أقول، وما زالت تلك الكلمات التي أوردها الإمام تقرع سمعي. طبعاً هذه القضية جديرة بالاهتمام من عدة جوانب، وفي مقدمتها، أن الإمام لم يكن يعتمد من معيار سوى الإسلام والأهداف المقدّسة التي جعلته يعيش تلك الحياة المليئة بالمخاطر

ويتغلب على جميع الصعاب والمعضلات، وقد كملنا بصراحة أن الإسلام هو الهدف رغم شعورنا بحاجته الماسّة إلينا آنذاك[1].



خاصرة للسيد حميد الروحاني

يقول السيد حميد الروحاني:

كما أشرنا سابقاً، فإن الإمام كان يتعامل مع الإسلام بجميع أبعاده وجوانبه، ويضع كل شيء في موضعه. فإذا حانت الصلاة نسي كل شيء وتفرّغ للعبادة، بينما تراه سياسياً بارعاً في ميادين السياسة وهكذا القضايا الاجتماعية والأخلاقية، فلم يكن عنده جانب يطغى على آخر، فلم تشهد برامجه الحوزوية ـ المطالعات والأبحاث والتدريس ـ أي تعثّر طوال إقامته في النجف، رغم سخونة الأحداث السياسية التي وقعت آنذاك، فقد كنا نشهد بعض الأحداث التي جعلتنا نتخلّف عن حضور الدرس أحياناً أو الكسل في الحضور، في حين كان يحضر جلساته في ذروة الأحداث السياسية ويتعرض للمسائل الفقهية والأصولية، وكأنه لم يدخل عالم السياسة ويسمع بالأحداث، فقد كان درسه منتظماً حتى حين ألقت السلطات البعثية القبض على السيد مصطفى واقتادته إلى

---

(١) م.ن، ٩٨ ـ ١٠٠.

بغداد، بل أستطيع القول: إن مباحثه ذلك اليوم كانت أدق وأعمق، وأبعد من ذلك أنه اعترض على سائر العلماء والفضلاء حين عطّلوا دروسهم الحوزوية على أثر شهادة السيد مصطفى، وعدّ ذلك بمثابة ضربة موجعة توجه إلى الحوزة العلمية.

فذهب إلى الدرس واستعرض مباحثه وكأن شيئاً لم يقع، فليس هنالك من موضوع ينسي الإمام موضوعاً آخر أو يصدّه عنه، وفي كل المجالات ورغم الاهتمام المتزايد بالحوزة والدرس والمباحثة التي لم تتعثّر حتى بشهادة نجله الأكبر، غير أنها لم تكن لتصدّه عن ممارسة سائر مسؤولياته السياسية والاجتماعية، فما أغلب أولئك الذين انسحبوا عن ميدان السياسة والجهاد بذريعة الحفاظ على ديمومة مسيرة الحوزة العلمية[١].



من كان مع الله كان الله معه

تقول السيدة دباغ:

ولمّا حلت أعياد رأس السنة الميلادية بمناسبة ولادة السيد المسيح، قال سماحته: «احملوا بعض الهدايا لمن حولنا من الناس بهذه المناسبة، ولا تنسوا باقات الزهور فالأجانب يحبّون الزهور، ولا تنسوا أن تعتذروا لي منهم، فلعلّ الذهاب والإياب

---

(١) م.ن.

وتردّد الناس علينا يعكّر صفو حياتهم»، فلمّا وُزّعت عليهم الهدايا ـ وكانت علباً من الحلويات ـ رأينا في اليوم التالي الشارع مزدحماً بالمراسلين والصحفيين، فسألت أحد الإخوة: ما الخبر؟ قال: لقد قدم هؤلاء المراسلون بسبب تلك الهدايا ليعدوا بعض التقارير في هذا الشأن، كما عقدوا مقابلة مع الإمام أشار فيها إلى السيد المسيح عليه السلام. ثم تناقشنا لاحقاً لنتوصل إلى نتيجة كانت مسلّمة لدينا، وهي أن من كان مع الله كان الله معه، إن الإمام لم يترك ذلك المستحب من أجل المقابلة، ولما فرغ من إتيانه به استعد لها فإذا بركاتها وثمراتها لا تحصى بحيث توالت عليه الإذاعات ووكالات الأنباء، وهذا ما ينبغي أن يلتفت إليه الإخوة والأخوات في أن الإنسان كلما اقترب من الله أكثر خافه العدو أكثر وشعر بالضعف والوهن تجاهه، من جانب آخر، فإن الإمام أراد وعظنا عملياً بعدم الاكتفاء بالواجبات، بل لا بدّ من القيام بالمستحبات لنقطف ثمار بركاتها في حياتنا الدنيوية فضلاً عن الحياة الأخروية[1].

الإمام القدوة والاهتمام بأمور المسلمين والبشرية .

تقول السيدة دباغ:

ولا يسعني هنا إلاّ أن أشير إلى نقطة مهمة أخرى في حياة

---

(١) م.ن، ٩٤.

الإمام، وتتمثل بمتابعته للأخبار؛ الأمر الذي ربما لا يتعاطاه أغلب الأفراد، حيث يقول لك إني سأعلم بالخبر عاجلاً أم آجلاً، وعليه فليست هناك من أهمية لمتابعة الأخبار. أما الإمام، وإضافة إلى متابعته لأخبار إيران، فقد كان حريصاً على سماع أخبار سائر البلدان التي تُذاع باللغة الفارسية، في حين لا يهتم البعض حتى بسماع الأخبار المحلية، كان بعض الإخوة مكلفين بترجمة كافة الأخبار التي توردها الصحف الأجنبية في شأن إيران، فكان يخصص بعض الأوقات لمطالعة هذه الأخبار، إلى جانب ذلك كانت لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة على مستوى الحياة اليومية، وليس لعمل أن يعوّقه عن القيام بعمل آخر، كنّا نراه صباحاً يجلس على المائدة ويصب الشاي، وهذا لا ينسيه زعامة الأمة ومواصلة المسيرة الجهادية، إنه مثال الأبوّة الحنونة الصادقة في تعامله مع أسرته، للأسف أرى وأسمع الكثيرين ممن يدّعون أنهم على خط الإمام وأنهم ذائبون فيه، إلا أنهم لا يتبعون سلوكه في العمل أبداً، فالإمام أنموذج وقدوة من أجل الاقتداء به واتباع أثره، هناك مسألة أخرى ينبغي أن تلتفت إليها الأخوات بشأن عدم التعامل الصحيح مع الصحف التي غالباً ما تحمل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعليه فعدم الاعتناء بها وجعلها تحت الأقدام إنما يعد معصية، من شأنها أن تستتبع بعض النتائج السلبية على الحياة الإنسانية. لقد اعتدت على وضع بعض الصحف الأجنبية في مدخل البيت لكي يضع الإخوة أحذيتهم عليها ـ عندما يكون الجو ماطراً والأرض مليئة بالوحل والطين ـ

وذات مرة جعلت صفحة الإعلانات ـ كانت الصحيفة إيرانية ـ ليضع الإخوة الأحذية عليها، فلما دخل الإمام وخلع حذاءه، قال: «كأني بهذه الصحيفة إيرانية؟» قلت: نعم، سيدي، ولكن هذه صفحة الإعلانات، مع ذلك تحفّظ عن وضع الحذاء وقال: «ربما كتب فيها اسم محمد أو علي»، نعم من الخصائص البارزة في شخصية الإمام رصده لكافة الأمور الصغيرة والكبيرة.

إحدى الصفات المميزة لشخصية الإمام أنه لا يحمّل الآخرين القيام بأعماله الشخصية من جهة، ولا ينسب إلى نفسه الأعمال الحسنة التي يقوم بها الآخرون من جهة أخرى، فقد كنت أتولى تنظيف الأحذية من الطين في الأيام الممطرة، فلما رأى الإمام ذلك كان يحرص على ألاّ تعلق بحذائه ولو ذرّة من طين، كان الإمام لا يغفل عن أصغر الأشياء رغم ضخامة فكره وقلبه الذي وسع الثورة والناس. الدرس الآخر الذي نستفيده من حياة الإمام رعايته لحقوق الآخرين، فهناك بعض القوانين التي يشقّ على بعض الناس الالتزام بها في الجمهورية الإسلامية، بينما الإمام وفي ضوء فهمه للدين والقرآن يرى ضرورة الالتزام بها، على سبيل المثال قوانين المرور التي يضرب بها بعض المواطنين عرض الحائط مستهدفاً الإساءة إلى نظام الجمهورية الإسلامية، والحال أن هذا التمرّد على القوانين لا يكشف عن محاولة الإساءة إلى النظام فحسب، بل يكشف عن التربية الخاطئة لهذا الفرد أو ذاك، وإن مثل هذا الفرد لا يكن أدنى حرمة لنفسه فضلاً عن المجتمع، وعليه فهو معتد ينبغي إيقافه عند حدّه، والأدهى

من ذلك ما يتذرّع به بعضهم بأن السنة النبوية المطهّرة وسيرة الأئمة عليهم السلام لم تتعرّض لمثل هذه القوانين وعليه فليست هنالك من ضرورة للالتزام بها، بينما نرى وجوب امتثال كافة الأنظمة والقوانين في الحكومة الإسلامية التي يتزعمها الولي الفقيه، كما أن عدم رعاية هذه القوانين يعد معصية كبيرة، كان الإمام بسيطاً في تفاصيل حياته وفي مقدمتها الطعام، فكان لا يتناول سوى الخبز والجبن والبيض وماء اللحم(١).



من قام بهذا العمل؟؟

بعث أحد الكتّاب إلى الإمام كتاباً تحت عنوان «البيعة الواجبة على المسلمين» لكاتب عربي غير معروف وعلى ما يبدو أنه من أهل سنّة الحجاز، وقد ظن من خلال بحثه واستناده إلى الروايات العامة أن يثبت بأن الإمام الخميني هو المهدي الموعود. عرض على الإمام توضيحاً مختصراً لمحتوى هذا الكتاب، فانتفض الإمام مضطرباً بشدة وبشكل لم يسبق له مثيل وأجاب بلهجة حادة وقاسية «عجيب»!! من «قام بهذا العمل»؟(٢).

(١) م.ن، ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) في ظلال الشمس، ١٠٢.

عشرة أيام مهلة تقديم فاتورة المصاريف

حصل أحد العلماء على إجازة من الإمام بأخذ وإيصال الحقوق الشرعية والأمور الحسبية، وكان مورد اهتمام الإمام، وقدم تقريراً إلى الإمام يتعلق بزيادة النسبة التي يحق له أن يأخذها من الحقوق الشرعية وبهذه المناسبة كان قد أرسل عدة مرات حقوقاً شرعية إلى المكتب بواسطته وسألني عن ذلك، وأنا بدوري استخرجت النسبة وأرسلتها إليه.

وعقب ذلك، وبعد عدة أيام قال لي الإمام بلهجة جدية وصارمة.

«قولوا له بأنه ينبغي أن يقدم فاتورة مصاريفه الحياتية خلال عشرة أيام... من أين اشتراه؟...».

تابع بلهجة منزعجة وقاطعة:

«أنا أسير الحكم الشرعي يجب أن يوضح خلال عشرة أيام عن كل شيء وإلاّ فإنني مضطر للقيام بعمل مضاد وسيسقط حتماً»[1].

---

(١) م.ن.

فاطمة اسم جميل جداً

في شتاء سنة ١٩٨٤م رزقني الله فتاة، وبعد عدة أيام من ولادتها حملتها والدتها إلى بيت سماحته، وبعد إنجاز الأعمال مع الإمام خرجت وجلبت المولود الجديد وتشرفت بحضور الإمام، وأنا أصعد الدرج التفت الإمام وأذن لي بالدخول والبسمة ترتسم على شفتيه وقبل أن أنطق بكلمة تفضل علي قائلاً:

«هل هذا ولدكم»؟

فقلت نعم.

ومباشرة مدّ ذراعيه وأخذ المولود وبنفس الوقت يسأل.

«ذكر أم أنثى».

«فقلت: أنثى».

فأخذها بحضنه، ودنا منها حتى التصق بوجهها وقبلها والحال كذلك، تفضل قائلاً:

«فتاة جيدة جداً، فتاة جيدة جداً فتاة جيدة جداً!».

ودعا لها في أذنها، ومن ثم سأل عن اسمها.

فقلت: مولانا لم أنتخب اسماً لها، وتركنا الأمر لجنابكم وفوراً دون تأمّل تفضل قائلاً:

«فاطمة اسم جميل جداً، فاطمة اسم جميل جداً، فاطمة اسم جميل جداً»[١].

---

(١) م.ن.

حياة الإمام المنتظمة وفق برنامج ممنهج

تقول السيدة دباغ:

وأذكر في هذه المناسبة أن الإخوة قد أتوا بفيلم مصوّر عن بعض أحداث الثورة، واقترحوا عليّ طرح هذه المسألة على الإمام لرؤية الفيلم بعد تناول العشاء، فدخلت على الإمام وقلت له: العشاء جاهز، فهل آتيك به؟ فنظر إلى الساعة، ثم أجابني قائلاً: بقيت عشر دقائق لوقت العشاء.

الخلاصة أستطيع الإجابة عن أي سؤال يوجّه إليّ، ماذا يفعل الإمام الآن؟ على سبيل المثال ـ وكما أشرت سابقاً ـ ينهض الإمام من نومه عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، لينهمك بمطالعة الأخبار المتعلّقة بإيران والمترجمة من سائر الصحف الأجنبية، ثم يقف ليؤدي صلاة الليل والصبح، يتناول الفطور في السابعة صباحاً، فإذا فرغ من تناول الفطور تولّى متابعة القضايا المتعلّقة بالشؤون الداخلية لإيران حتى الساعة التاسعة. من الساعة التاسعة إلى العاشرة، يقوم بالأعمال الشخصية، أما من الساعة العاشرة إلى الثانية عشرة فقد خُصّص للقاءات والمقابلات، صلاة الظهر والغداء من الساعة الثانية عشرة حتى الثانية بعد الظهر، ومن ثم الاستراحة لساعة واحدة، ومن الساعة الثالثة إلى الخامسة كان يتولّى متابعة الأنشطة والفعاليات ذات الصلة بالثورة ومطالعة الأخبار والردّ على الرسائل، الساعة الخامسة صلاة المغرب والعشاء ومتابعة قضايا الداخل ثانية حتى الساعة التاسعة بعد

تناول طعام العشاء، ومن الساعة التاسعة ليلاً حتى الساعة الحادية عشرة سماع الأخبار الأجنبية التي سجّلت سابقاً، فإذا حانت الساعة الحادية عشرة خلد إلى النوم. لا شك أن مثل هذا البرنامج ـ وأي برنامج منظّم كان ـ إنما ينأى بالإنسان بعيداً عن القول العبث، والعمل الباطل، ووقت الفراغ هو الذي قد يدعو إلى القيام بالأعمال التي تؤدي إلى الندم.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد رضا الناصري:

أستطيع القول: إننا كنا نعرف الأوقات على ضوء فعاليات الإمام اليومية وأنشطته، حتى أسرة الإمام كانت تعلم ما هو العمل الذي يمارسه في هذه الساعة ففي النجف، كان يخرج من البيت في الساعة الثانية والنصف ظهراً ليصل إلى المرقد الشريف للإمام علي عليه السلام عند الساعة الثالثة من دون زيادة أو نقصان؛ الأمر الذي جعل العناصر الأمنية تعرف بدقّة موعد خروج الإمام ووصوله المرقد ورجوعه إلى البيت، ما زلت أذكر أنه خاطبنا ذات مرة في الدرس قائلاً: «إذا كنتم تأتون إلى هنا من أجل الدراسة، فإن عليكم أن تحضروا في الوقت المحدّد، وإن كنتم تأتون من أجل الأجر والثواب فالمساجد كثيرة يمكنكم الذهاب إليها»، حتى مطالعته كانت منظّمة، ولم يكن هناك ما يعرقلها، فضلاً عن الصلاة والجماعة، كنا نخشى على الإمام حين أبلغناه نبأ وفاة السيد مصطفى، فأمرنا بإحضار الطبيب، فلما شاهد الطبيب قال: «ما الذي دعاكم للإتيان بالطبيب»، ولما حانت الصلاة خرج إلى

المسجد لصلاة الجماعة، كما انشغل بالمطالعة إضافة إلى تلاوة القرآن، وكما ذكر السيد أحمد ـ نجل الإمام ـ فقد كان الإمام يُطالع كتاباً حين وقعت حادثة السيد مصطفى، وفي عصر ذلك اليوم، فتحت الكتاب لأرى الإمام قد قرأ سبعين صفحة من ذلك الكتاب ولم يوقف مطالعته بسبب تلك الحادثة، لقد ألزم نفسه بأن لا يعطّل دروسه مهما كانت الظروف ، وكان يتألم عندما يتعطّل الدرس لأية ذريعة من الذرائع، فكان يوصينا قائلاً: إذا لم تستطيعوا القدوم إلى الدرس فلا تعطّلوه، بل عليكم أن تطالعوا الدرس بأنفسكم[١].



لقد ارتكبت ذنبين عند شراء البرتقال

الصفة البارزة الأخرى في شخصية الإمام هي ابتعاده الشديد عن أدنى مجالات الإسراف. ذات يوم استفدت من رخص الفاكهة، فاشتريت كيلوين من البرتقال، لا سيما أن الجو كان بارداً فقلت في نفسي، يمكن حفظ البرتقال لثلاثة أيام أو أكثر، فلما رأى الإمام البرتقال قال: لمن كل هذا البرتقال؟ فحاولت تبرير فعلي قائلة: «كان البرتقال رخيصاً، فاشتريت هذا المقدار لنستفيد منه لعدة أيام»، فردّ الإمام قائلاً: لقد ارتكبت ذنبين،

---

(١) م.ن.

الذنب الأول هو أننا لا نحتاج لهذا المقدار من البرتقال، والذنب الآخر لعلّ هناك بعض الأفراد في نوفل لوشاتو من لا يستطيعون شراءه وما زالوا ينتظرون هبوط سعره، اذهبي وأرجعي قسماً منه، فقلت له: لا يمكن إرجاعه، فردّ سماحته قائلاً: «لا بدّ من البحث عن حل»، قلت: ماذا يسعني أن أفعل؟ فقال: قشّري البرتقال ووزعيه على الفقراء الذين لم يتناولوه حتى الآن، عسى الله أن يعفو عن ذنبك. كان الإمام يشرب الماء ولا يسكب ما يتبقى منه أبداً، بل كان يضع ورقة على فوهة القدح، ثم يتناوله عند الحاجة، طبعاً لم تكن حرارة الماء أو برودته مهمة بالنسبة للإمام[1].



الحفاظ على الأموال الشرعية بدقة متناهية

يقول الشيخ الكرماني:

تتسم حياة الإمام ومعيشته بالبساطة والتواضع، بحيث لا ترى من مزايا وخصائص مادية يفتقر لها أدنى أفراد المجتمع، طبعاً الحقوق الشرعية التي كانت تصل إلى الإمام طائلة جداً، إلاّ أنه كان يتحفظ بشكل عجيب على التعامل مع هذه الأموال، لقد

---

(١) م.ن.

حذّر العاملين في مكتبه مراراً بقوله: «لا أرضى أبداً أن تستخدموا الهاتف لأغراضكم الشخصية»، الأمر الذي يجعلنا نخرج بعض الأحيان، ونتصل بالهاتف العام من أجل بعض الأمور الشخصية والعائلية، إننا لم طوال وجودنا مع الإمام أنه ترك أحد مصابيح الدار مضاءً دون فائدة، كان أحياناً يتكلم مع بعض الشخصيات، فنراه يقوم من مكانه ليطفيء مصباح المرافق الصحية حين كنا ننساه، ومن دون أن يكلّف أي أحد بالقيام بهذا العمل. كان يقتصد حتى في ماء الوضوء، فيغلق صنبور الماء بعد كل حركة من دون أن يسرف في استخدام أي قطرة من الماء، في حين يستهلك بعض الأفراد من الماء في الوضوء ما يكفي لغسل عشرة أفراد(١).

حفاظاً على المال الشرعي: أعطني الباقي!!

يقول الشيخ رحيميان:

كان الإمام شديد الحساسية تجاه أموال بيت المال كجدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد روى الأخ حسين المشهدي ـ وهو من الأفراد الأتقياء، وكان يتولّى شراء حاجيات بيت الإمام في النجف ـ أن الإمام أعطاني ربع دينار لشراء ما يلزم البيت لذلك اليوم، فاشتريت الخبز والجبن واللبن والخضراوات وعدت إلى

---

(١) م.ن.

البيت، فلم أكد أغلق الباب حتى ناداني الإمام: حسين، بكم اشتريت؟ فلما حسبت كان ثمن الشراء ٢٣٥ فلساً، فقال سماحته: أعطني الباقي (لم يكن الباقي سوى ١٥ فلساً وهو مبلغ غير ذي بال)[١].



إنّا لله وإنّا إليه راجعون

يقول الشيخ محمد رضا الناصري:

لقد كان لإمام مثل الجبل الشامخ الصامد. من ذلك عندما توفي الحاج السيد مصطفى (ابن الإمام الكبير) ونقل إليه الخبر، قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، كنت أرجو أن ينفع مصطفى المجتمع»، ثم أمرنا بالعودة إلى ما كنّا فيه[٢].

يمتنع عن وطء الأحذية

يقول السيد حميد الروحاني:

أراد الإمام، ذات يوم، أن يدخل لإقامة صلاة الجماعة، وقد تكدّست الأحذية بعضها على بعضها الآخر لكثرة الزحام،

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن.

بحيث لم يكن هناك من مجال للمرور، فاضطررنا إلى وطء تلك الأحذية للدخول، أما الإمام فقد توقّف وامتنع عن وطء تلك الأحذية، ثم أمر بجمع الأحذية وترتيبها، آنذاك أدركنا أن وطء الأحذية إنما يعني التصرّف في أموال الآخرين، وهذا لا يخلو من إشكال، طبعاً أغلبنا يمني نفسه بأن أصحابها لا يمانعون في وطئها، إلاّ أن زعيم الثورة كان أكثر دقّة وعمقاً منّا[1].



حينما تستغني عن الساعة لمعرفة الوقت

يقول السيد حميد الروحاني:

كان الإمام منظّماً في جميع نشاطاته وبرامجه، بحيث يمكن للفرد أن يضبط ساعته وفقاً لبرامجه، وقد أشرت في كتاب «دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني» أن العاملين في مكتب الإمام في النجف كانوا يعرفون الوقت، ومن دون اللجوء إلى الساعة، من خلال حركة الإمام وخروجه للزيارة وجلوسه ونومه ودرسه[2].

ويقول الشيخ محمد رضا التوسلي:

أما في ما يتعلق بدرس الإمام ـ عادة ما تطرح الإشكالات

---

(١) لمحات من حياة الإمام، ١٠٢.

(٢) م.ن.

في دروس الحوزة العلمية ـ فإن أحداً لم يشكل على الإمام، فقال: جلستنا جلسة درس وبحث، لا جلسة وعظ وإرشاد، فما هذا السكوت، وأما دقّة تنظيم الإمام فحدّث ولا حرج، فليس له من نشاط في يومه وليلته من دون أن يستند فيه إلى الوقت؛ فهناك وقت للمشي، ولتناول الطعام، للمطالعة ولقاء الأصدقاء وسائر الأمور. ذات مرة، دخل قاعة الدرس، ثم جعل الطلبة يحضرون الواحد تلو الآخر، فاستهلّ درسه بالتأكيد على النظام واحترام الوقت في كافة شؤون الحياة[١].

سأقدم بياناً في الساعة الرابعة عصراً

تقول السيدة دباغ:

دخلت صباح أحد الأيام على الإمام، فقلت له: «لقد تحدّثت وسائل الإعلام عن هروب الشاه من إيران»، فقال: وماذا بعد، من دون أن يضيف أي كلمة؟ آنذاك تدفّق علينا سيل المراسلين والصحافيين يستطلعون رأي الإمام، ويناشدوننا عقد مؤتمر صحفي بهذا الشأن لمعرفة ردود فعل الإمام والقرارات التي سيتخذها في هذا الشأن، حانت صلاة الظهر فوقف الإمام للصلاة، ولما فرغ أخبرنا بأن ليس لديه من وقت للمقابلة، طلبوا منا بياناً يكتبه الإمام، فلما أخبرنا الإمام، تناول ورقة وقلماً، ثم

---

(١) م.ن.

وضعهما جانباً، وقال «سأقدّم لكم بياناً في الساعة الرابعة عصراً»، شعرت بالدهشة والذهول، فالإمام سوف لن يكتب أكثر من بضعة سطور فما الفرق في أن يكتب الآن أو في الساعة الرابعة، لم أفهم تلك القضية. ولما حانت الساعة الرابعة نادى الإمام: «البيان جاهز». كانت القضية طبيعية جداً بالنسبة للإمام، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لنا، بل ليس لنا أن ندرك كنه تلك المسألة[١].



لا يوجد اسم أفضل من علي

يقول الشيخ رحيميان:

في يوم الخميس عام ١٩٨٥ رزقت صبياً، وذلك بعد عام تقريباً من المولود الأول، وحملته إلى الإمام ولكن هذه المرة لم يكن تعاطي الإمام معه كالمولود السابق[٢] حيث إنني ركعت على ركبتي هذه المرة، وقدمت له المولود الجديد والإمام واضعاً يده على رأسه قلت له:

هذا رابع ولد لي وأتمنى على سماحتكم أن تختاروا اسماً

---

(١) م.ن.

(٢) فالمولود السابق كان أنثى وقد اهتم الإمام قدّس سره كثيراً بها ولكن اهتمامه بالمولود الذكر كان أقل.

له علماً أنني لم اسم علي وفي هذه الأثناء تبسم الإمام وأجاب قائلاً: «ماذا أفضل من علي؟» ليكن اسمه علياً ومن ثم مسح على رأسه وبهذا نلحظ التفاوت الكبير بين الموردين[1].

ابقوا على رأي السيد الحكيم

يقول الشيخ محمد رضا الناصري:

عندما توفي آية الله السيد محسن الحكيم في العراق، فقد أُعلن عن الوفاة بواسطة مكبرات الصوت، فسمعت صوت بكاء، فالتفت وإذا بالإمام هو الذي يبكي، وفي اليوم التالي دعانا وقال لنا: «اخبروا الجميع أنه لا يحق لأحد، وفي أي مجلس كان، أن يدافع عني أو أن يذكر اسمي، ولا تقولوا أي شيء حتى إذا وجه أحد السب أو الشتم لي». ولم يكن الإمام يوافق على أن نعلن للناس عن مرجعيته، ولكن في تلك الأيام جاء بعض الناس من مدينتي الموصل وكركوك لزيارة الإمام، وسألوه عمّن يقلّدون؟ فسألهم الإمام: من كنتم تقلدون؟ قالوا: السيد الحكيم. فأجابهم: ابقوا على رأي السيد الحكيم. هذا قول يحتاج إلى الحلم والحكمة وطول الأناة»[2].



---

(١) في ظلال الشمس، ١٠٥.

(٢) لمحات من حياة الإمام، ١١٠.

إن لم يكن عندك إشكال استعضت بسبي

يقول الشيخ عبد العلي القرهي:

لا يسعني أن أبيّن جميع الأبعاد والجوانب التي انطوت عليها شخصية الإمام، إلاّ أني سأتطرّق لبعض الأمور التي شاهدتها في الإمام وأوردها في ضوء إدراكي القاصر.

كان الإمام يلقي دروسه الفقهية في مسجد سلماسي الذي لم يكن يستوعب جميع الطلبة الذين يحضرون الدرس. وكان يمتنع عن التوجه إلى أي مسجد آخر، رغم إصرارنا عليه بأن المكان ضيق، ولا يتّسع لجميع الطلاب. فقد كان سماحته يخشى الشهرة إذا ما ألقى دروسه في المساجد المعروفة في قم. كان الإمام يسعى إلى أن يربي الطلبة الذين يحضرون درسه تربيةً تجعلهم يقفون على تفاصيل الأبحاث التي يثيرها في الدرس؛ الأمر الذي جعله يشجع الطلاب على التعامل مع الأبحاث بعين النقد والتحليل وإيراد الإشكالات من دون تلقيها على أساس أنها مسلّمات. حتى أنه قال مرة في هذا الخصوص: «قال المرحوم الشيخ عبد الكريم إن أحد الطلبة دوّن درسي وأتاني به، فلما قرأت ما كتبت قلت له: لقد أحسنت كتابة الدرس، ولكن ليتك علّقت على ما كتبت ولو بإشكال واحد، فإن لم يكن لديك إشكال استعضت عن ذلك بسبّي»[(١)].



(١) م.ن.

خاتمة ودعاء

في خاتمة هذا الكتاب لا يسعني إلاّ شكر الله ﷻ لموفقيته إياي في إنجاز هذا العمل لا سيما وأنني لا أستحق كل هذه العناية الربانية وأنا من أنا!!!

فله الشكر والثناء على ما أنعم ووفق وسدد ودبّر وسهّل وهو القادر على ما يشاء ولولاه جل شأنه وتعالت قدرته لكنت من الأعدام ونسياً منسياً. وأنا العبد المفتقر جداً إلى الرب القدير تبارك وتعالى توفيق بن حسن بن علي بن اسماعيل آل علوية وبعد الحمد والثناء على الله ﷻ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله الأطهرين الكرام الميامين لا سيما ولي العصر مكّن الله له خير تمكين أدعو الله تعالى بخالص النية والرجاء أن يحفظ مراجع الإسلام المحمدي الأصيل لا سيما النائب العام للإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف، وأن يحفظ سائر المسلمين الحقيقيين السائرين على نهج محمد وآل محمد والمعصومين الميامين عليهم أكمل الصلاة وأتم التسليم، وأن يسدد خطى المجاهدين ويثبت أقدامهم على الهدى واليقين، وأن

يحشرني وأهلي وعيالي مع المعصومين الطاهرين.

اللهم يا حميد بحق محمد، ويا علي بحق علي، ويا فاطر السموات بحق فاطمة، ويا محسن بحق الحسن، ويا قديم الإنسان بحق الحسين اللهم بحقهم جميعاً وبحق المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام إلا ما غفرت ذنوبي، وسترت عيوبي، ووفقتني لمراضيك وجنبتني معاصيك وأرضيت عني صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

ـ الإمام الخميني الخطاب الثوري والدولة الثورية (عادل رؤوف).

ـ الإمام الخامنئي ورؤاه المعاصرة (توفيق علوية).

ـ الإرشاد في ولاية الفقيه (التبريزي).

ـ تفسير آية البسملة (الإمام الخميني قده).

ـ تنقيح المقال (المامقاني).

ـ التهذيب (الشيخ الطوسي قده).

ـ جامع الرواة (الاردبيلي).

ـ حديث الانطلاق (حميد الأنصاري).

ـ الحكومة الإسلامية (الإمام الخميني).

ـ في ظلال الشمس (محمد حسن رحيميان).

ـ القرآن الكريم (الله تبارك وتعالى).

ـ قيم النهوض (الشهيد مطهري).

ـ قصص وعبر من حياة العلماء والفقهاء (توفيق علوية).

ـ كشف الأسرار (الإمام الخميني).

- كليات في علم الرجال (جعفر السبحاني).
- الكافي (ثقة الإسلام الكليني).
- لمحات من حياة الإمام الخميني (جماعة من المؤلفين).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (فؤاد عبد الباقي).
- مختصر شمس الولاية (مركز باء للدراسات ـ اعتمدنا عليه في أخريات الكتاب).
- مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (الإمام الخميني).
- منهاج الفقاهة (آية الله السيد الروحاني).
- مصباح الفقاهة (الإمام الخوئي قدّس سره).
- مع الإمام الخميني ونهجه شباب لا يعرف الانحراف (توفيق علوية).
- من لا يحضره الفقيه (صدوق الطائفة).
- معجم رجال الحديث (الإمام الخوئي قدّس سره).
- ولاية الفقيه بالدليل العقلاني (توفيق علوية).
- ولاية الفقيه في حيحة عمر بن حنظلة وغيرها (جعفر مرتضى).
- ولاية الفقيه المصطلح ـ الدلالة (عباس شحادي).

بالإضافة إلى مجموعة مهمة من المجلات والدوريات الثقافية والمخطوطات.

الفهرس